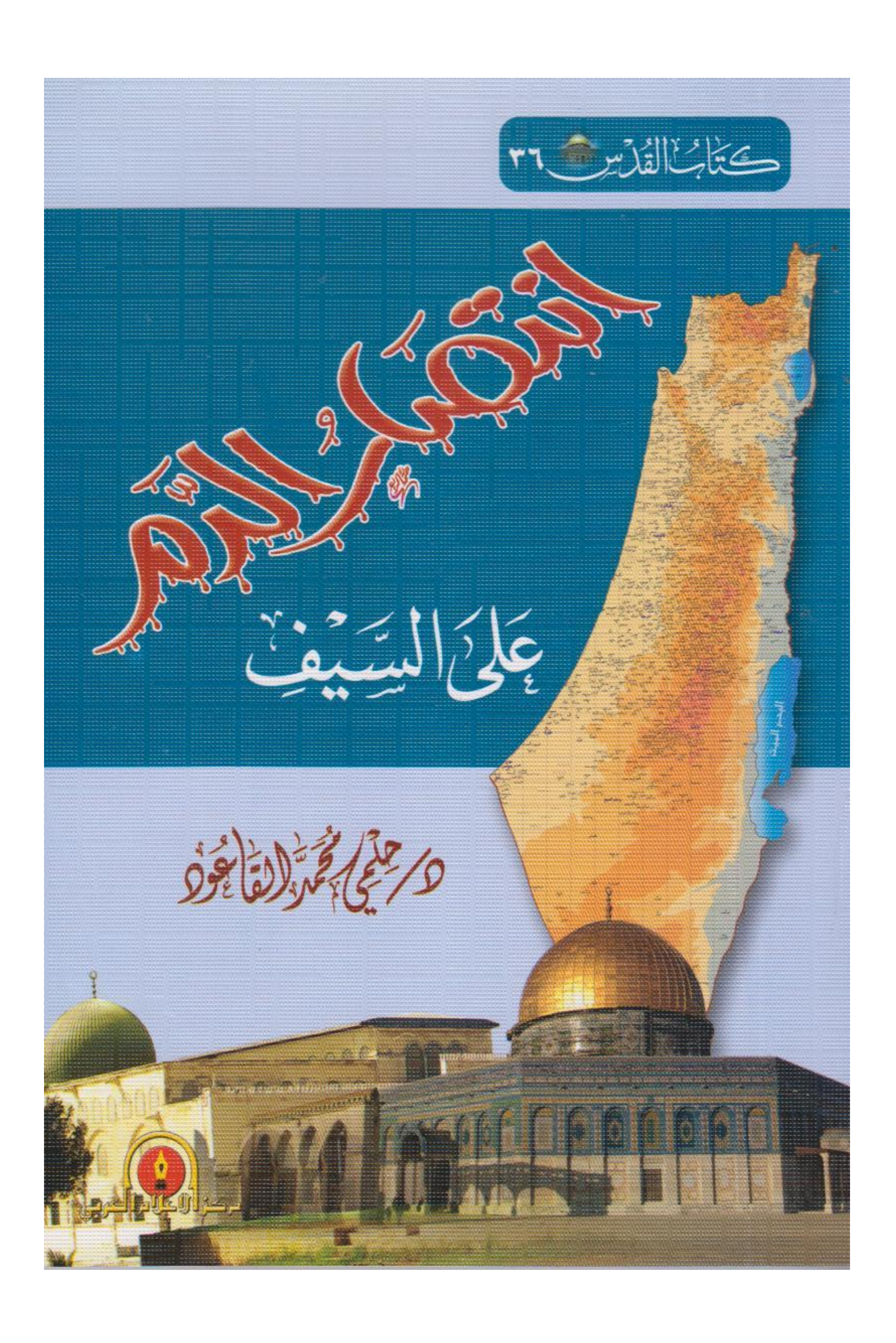

كتاب القدس ٣٦
انتصار الدم
على السيف
د. حلمي محمد القاعود
مركز الإعلام العربي

* الكتاب : انتصار الدم على السيف
* المؤلـــف : د. حلمي محمد القاعود
* قياس الصفحة: ١٤×٢٠
* رقم الإيداع: ٢٠١٠/١٣٥٢٨م
* الترقيم الدولي: ٢ - ٢٨٥ - ٣٦٧ - ٩٧٧ - ٩٧٨

مركز الإعلام العربي

ص. ب ٩٣ الهرم - الجيزة - مصر
* هاتــف : ٠٠٢٠٢/٣٧٨١١١٩٤/ ٣٧٨١١١٩٣
٠٠٢/٠١٠٠٠٢٧٠٤٤
* فاكس : ٠٠٢٠٢ / ٣٧٨١١١٩٥
* التوزيــع : ٠٠٢٠٢ /٣٧٤٤٥٤٥٥
٠٠٢/ ٠١٠٠٠٢٧٠٢٥
* الموقع على شبكة الإنترنت:
www.amc.eg.com
* البريد الإلكتروني:
media-c@ie-eg.com
mediacenter55@hotmail.com

القاعود، حلمي محمد. انتصار الدم على السيف/ حلمي محمد القاعود. - الجيزة: مركز الإعلام العربي، ٢٠١٠. ١٦٨ص: ٢٠سم. - (كتاب القدس: ٣٦) تدمك ٢ ٢٨٥ ٣٦٧ ٩٧٧ ٩٧٨
١- القضية الفلسطينية ٢- المقاومة الفلسطينية
أ. العنوان ب- السلسلة ٣٢١,٥



سلسلة كتاب القدس (٣٦)

رئيس التحرير
صلاح عبد المقصود

الإخراج الفني
أبو بكر القاضي

تصميم الغلاف
كمال عبده

الطبعة الأولى
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م





بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــداء

إلى : جنين...

مدينة الاستشهاديين

فالنصر قريب بإذن الله

(حلمي...)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

منذ أكثر من ستين عامًا والشعب الفلسطيني يقف في صبر منقطع النظير في وجه المشروع الصهيوني - الأمريكي، يتحمل في سبيل تحرير وطنه والدفاع عنه القتل والتشريد والتعذيب، ويتجرع ألم الجوع والمرض والفقر تحت سياط الحصار المفروض علية، الذي راهنت إسرائيل على عدم قدرة الفلسطينيين على تحمله، لكن الشعب الفلسطيني ضرب أروع الأمثلة في الصمود والثبات دفاعًا عن حقه في الحرية، وتمسكًا بسيادته الكاملة على أراضيه، وسادت بين أفراده روح التكافل والتعاون الاجتماعي، وازداد التماسك الأسري، فاستحقوا بذلك الفوز بالبشارة القرآنية ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۞ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۞ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (البقرة: ١٥٥-١٥٧).

وفي هذا الكتاب **"انتصار الدم على السيف"** يسجل الأستاذ الدكتور **حلمي محمد القاعود** مرحلة جديدة من الجهاد الفلسطيني، اتسمت فيها المواجهة بالشراسة النازية اليهودية، مع دعم صريح ومكشوف

ووقح من جانب الصليبية الاستعمارية المعاصرة بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، وصمت بعض الأنظمة العربية والإسلامية، فقد اجتاح الغزاة اليهود المدن والقرى الفلسطينية - وما زالوا - فقتلوا وأسروا وهدموا، واستخدموا الطائرات والدبابات والمدفعية والرصاص المحرم ضد المدنيين، واقتلعوا أشجار الزيتون المعمرة والحدائق المثمرة، وصمت العالم الخارجي، وعجز عن مجرد الإدانة اللفظية أو الكلامية بفعل الهيمنة الصليبية الاستعمارية في الأمم المتحدة!

الناشر

مقدمة المؤلف

الحمد لله وحده. نصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده.

اللهم صل وسلم وبارك على نبيك خير المجاهدين الصابرين، وعلى آله وأصحابه وأنصاره وأتباعه إلى يوم الدين... وبعد:

فإن قسوة المحنة التي يتعرض لها شعبنا الفلسطينيّ البطل على يد الغزاة النازيين اليهود، لم تفقدني الأمل في نصرة الله لأبناء هذا الشعب، وتحقيق وعده بهزيمة المجرمين ومن والاهم، ومن ساعدهم بالمال والسلاح.. ولا يزعزع إيماني ما أراه هنا وهناك من تخاذل الأشقاء وجبن الأصدقاء وتكالب الذين في قلوبهم مرض.. فالنصر من عنده تعالى، وعد صادق لا يتخلف ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ (محمد: ٧).

لقد تحرك الشعب الفلسطيني الأعزل ليقاوم الغزاة الطغاة في سبتمبر ٢٠٠٠م، وظن الأعداء أنه سينهزم، ويولي الأدبار تاركًا أرضه ووطنه أمام الآلة العسكرية النازية اليهودية، ولكن الدنيا كلها فوجئت بشعب يصر على الحياة والبقاء، ويقدم روحه ودمه فداءً لشرفه ووطنه، وعرف الناس في العالم أجمع - ربما لأول مرة في التاريخ - أن

الفلسطيني يصنع من نفسه قنبلة متحركة تهز كيان الأعداء الغزاة، وتزلزل أركان وجودهم الظالم.

كان من الضروري أن يتفاعل كل صاحب قلم مع جهاد الشعب الأسير، ويسجل مشاعر الأمة ونبضها، وتعددت الكتابات، وتنوعت شعرًا ونثرًا، وكان من نصيب كاتب هذه السطور أن يقدم مجموعة من الكلمات - قبل فترة - حملت عنوان "الأقصى.. في مواجهة أفيال أبرهة" (مركز الإعلام - القاهرة - ٢٠٠٢م) تسجل أحداث المقاومة البطولية للشعب الأسير الأعزل، الذي تآمر عليه الأعداء وخذله الأشقاء، وواجه السيف النازي اليهودي وحيدًا، فقهره بدمه، وجعله أمثولة أمام العالمين، حيث لم يستطع أن يحقق الأمن للغزاة، ولم يقدر على استئصال المقاومة!

وفي الصفحات التالية تسجيل لمرحلة جديدة من الجهاد الفلسطيني، اتسمت فيها المواجهة بالشراسة النازية اليهودية مع دعم صريح ومكشوف ووقح من جانب الصليبية الاستعمارية المعاصرة بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، وصمت بعض الأنظمة العربية والإسلامية وتواطؤ بعضها الآخر. وفي هذه المرحلة اجتاح الغزاة اليهود المدن والقرى الفلسطينية وما زالوا، قتلوا وأسروا وهدموا، واستخدموا الطائرات والدبابات والمدفعية والرصاص المحرم ضد المدنيين، واقتلعوا

أشجار الزيتون المعمرة والحدائق المثمرة، وصمت العالم الخارجي، وعجز عن مجرد الإدانة اللفظية أو الكلامية بفعل الهيمنة الصليبية الاستعمارية في الأمم المتحدة!

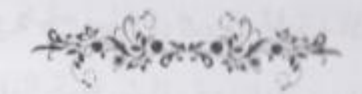
ومع ذلك، فإن الشعب الأسير واجه الغزاة اليهود - وما زال - بصلابة نادرة وإصرار تاريخي، وواصل عملياته الاستشهادية الفريدة في أعماقهم، وجعل الغزاة - لأول مرة - يفكرون في الهجرة المعاكسة، بل تعود أعداد منهم إلى أوطانهم التي جاءوا منها، ويعمد قادة الغزاة أو كثير منهم إلى تهجير أبنائهم وأقاربهم مؤقتًا إلى أوروبا وأمريكا...

إن الذين تعبوا من القيادات الرسمية الفلسطينية فيما يسمى السلطة أو منظمة التحرير، وتطوعوا بتقديم تنازلات خطيرة، تمس المقدسات الفلسطينية، مثل حق العودة والأرض والقدس، وضعتهم الانتفاضة الفلسطينية في مأزق كبير؛ لأنها أثبتت لهم أن المقاومة الاستشهادية تقلب الموازين وتقرب موعد النصر بإذن الله.

صفحات هذا الكتاب ليست مجرد وقفات مع أحداث عابرة للانتفاضة وما يتعلق بها على أرض فلسطين الأسيرة، ولكنها إسهام "متواضع" في تحرير وعي الأمة، وكشف للمسكوت عنه في الصراع الذي تخوضه الأمة الإسلامية بقيادة الشعب الفلسطيني ضد أبشع غزو همجي عرفته البشرية في القرن العشرين، وهو ما ينبغي أن

نقدمه، ليس لهذا الجيل وحده، ولكن للأجيال القادمة، حتى يُحسَمَ الصراع لصالح الإنسانية، فضلاً عن الشعب الأسير والأمة الإسلامية الجريحة!

أرجو أن تكون هذه الصفحات - بالإضافة إلى ما سبق - تحية متواضعة لشعبنا الأسير الصامد في فلسطين، ودعاءً إلى الله أن يوفقه في مسيرته لتحرير أرضه، وعودة أبنائه المشردين، ونهوض القدس مرة أخرى، شامخة أبية، تحت راية خضراء.. ولعل المقاومة الإسلامية الباسلة في لبنان التي لقنت العدو هزيمة قاسية على امتداد أربعة وثلاثين يومًا، وأرغمت نصف سكان الكيان الصهيوني على الهروب أو النزول إلى الملاجئ، طوال يوليو وأغسطس ٢٠٠٦م، بشارة بالأمل الموعود بالنصر، إن شاء الله، وبالله التوفيق.



واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا..

أحيانًا نمر على البديهيات مرور الكرام، دون أن نتأملها أو ندرك مغزاها، ولعل تعاملنا مع هذه البديهيات بمنطق الإلف والتكرار يجعلها تمضي أمام أعيننا دون أن تترك أثرًا أو تُخلِّف نتيجة. كم قرأنا وعرفنا أن الوحدة قوة، وأن الفرقة ضعف، وكم حكى لنا الآباء والأجداد قصة الرجل الذي جمع أبناءه وقدم لكل واحد منهم عصا، وطلب منه أن يكسرها فانكسرت جميعًا، وحين أعطى واحدًا منهم مجموعة عصيّ بعدد إخوانه، وطلب منه أن يكسرها مجتمعة، لم يستطع! وكم سمعنا وقرأنا قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٣)!

ويبدو أن الإخوة في فلسطين - مع كثرة ما مر بهم من أحداث وآلام ومحن - لم يحاولوا، أو يحاول بعضهم - أن يتذكروا الآية الكريمة أو القصة التي يحكيها الأجداد والآباء للأبناء، أو البديهيات التي يعرفها الناس من لدن آدم حتى اليوم، وإلى ما شاء الله. وقد جال بذهني تاريخ طويل من الخلافات غير المسوغة بين أهل فلسطين على مدى سبعين عامًا أو يزيد، ولم تزل قائمة، مع أن عناصر الوحدة أقوى

من عوامل التشتت، ودواعي التوافق أكبر من موجبات الانقسام، وتساءلت: ما الذي يجعل العائلات الخمس الكبرى في فلسطين تضيع معظم جهدها من أجل الزعامة والقيادة، بينما العصابات اليهودية الغازية تتنافس على احتلال أكبر مساحة من الأرض الفلسطينية وتشريد أكبر عدد من الفلسطينيين وقتلهم؟! وما الذي يجعل الخلافات تمتد إلى المواقف الحساسة والحاسمة في المعارك بين الشعب الفلسطيني والغزاة؟! كما حدث من فوزي القاوقجي الذي خذل عبد القادر الحسيني في معركة القسطل، مما أدى إلى استشهاده وفتح الطريق إلى القدس الغربية، وكان يمكن - لو تناسى الأول حنقه على الثاني - أن تتغير نتائج المعارك والأحداث على أرض فلسطين، وللأسف فإن ما كتبه "آفي شلايم" ونشره من الوثائق اليهودية يكشف الكثير من الفضائح والخيانات والمواقف غير المسؤولة من الأطراف الفلسطينية التي تقدم تصفية الحسابات مع الأشقاء على مواجهة الخصوم والأعداء!

لذا! رجوت من الله أن ينجح لقاء "حماس" مع "فتح" الذي انعقد في شهر (نوفمبر ٢٠٠٢م) في القاهرة وجمع قيادة المنظمتين الكبيرتين، لتصفية الخلافات، ووضع استراتيجية لمواجهة العدو النازي اليهودي. ومع أن البيان الختامي أشار إلى حق الشعب الفلسطيني في المقاومة حتى يزول الاحتلال، فإن النتائج الحقيقية للقاء لم تكن مشجعة بالقدر الذي تتوقعه الأمة عامة والشعب الفلسطيني خاصة، ويبدو أن منظمة "فتح" بحكم المناصب الرسمية التي تملكها،

والإمكانيات المادية التي منحت لها، تخضع للتصور الصهيوني الصليبي الذي يسعى لتفتيت القضية وتجزئتها وإدخالها إلى متاهة الحلول السلبية التي تقوم على دق الأسافين واختلاق الذرائع لاستمرار الاحتلال النازي اليهودي، وبقاء الخلافات الفلسطينية حتى يلتقط العدو أنفاسه وتتغير المعادلات!

منذ مئة عام ثبت أن اليهود الغزاة لا خلاق لهم ولا عهد، وأنهم ماضون في تنفيذ مخططاتهم الشريرة بالقضاء على الشعب الفلسطيني وتطهير فلسطين من أهلها، ثم التمدد إلى الفرات والنيل؛ لتحقيق ما يسمى بأرض الميعاد. وقد ثبت أيضًا أن اليهود الغزاة لا يجدي معهم غير القوة التي تقنعهم بالمطالب المشروعة للشعب الفلسطيني؛ لأنهم يتخذون منها - أي القوة - أداة إقناع للغير بمطالبهم غير المشروعة! القوة ولا شيء غير القوة هي الطريق إلى العقل اليهودي الشرير. أما التفاوض، أما مجلس الأمن، أما الرأي العام الدولي أو المجتمع الدولي، فكله هراء؛ لأنه مجرد حبر على ورق، تتبدد آثاره بعد ساعات قليلة من نشاطه.

كنت أود أن تدرك فتح وحماس وبقية الفصائل الفلسطينية أن العدو النازي اليهودي يوظف خلافاته السياسية لتحقيق المزيد من المكاسب الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية للكيان الصهيوني، وإقناع العالم بديمقراطيته الزائفة، وأن تستفيد فتح وحماس وبقية الفصائل الفلسطينية من طريقة العدو النازي اليهودي في توظيف خلافاته السياسية لاستمرار المقاومة قوية وظافرة.

اختلف القتلة في حزب العمل مع القتلة في حزب التجمع (الليكود)، ثم ظهر السفاح "نتنياهو" لينافس السفاح "شارون" على حكم الكيان الصهيوني، وبعض السذج في عالمنا العربي وفي السلطة الفلسطينية المحدودة (التي كانت!) ينشغلون بالمقارنة بين هذا السفاح اليهودي وذاك، وبين هذا الحزب الصهيوني القاتل وذاك، ويتصورون أن هناك سفاحًا أخف ضراوة من آخر، وأن هناك حزبًا صهيونيًا قاتلاً أكثر رحمة من آخر.. وتناسوا أن الجميع تجمعهم فلسفة "القوة"، أو بمعنى أدق "فلسفة القتل".. الاختلاف فيما بينهم على طريقة القتل ودرجته، فريق يحبذه فورًا وبأبشع الوسائل، والآخر يحبذه على مهل وبوسائل أقل بشاعة، المهم أن النتيجة واحدة هي "القتل".. هل لذلك علاقة بما يتعلمه الطفل اليهودي في أول دروسه، وهو الفعل "قتل" ومشتقاته؟

المقاومة المستمرة الاستشهادية للعدو الصهيوني هي الطريق المختصر والمستقيم والأكثر جدوى وفاعلية، وهو ما يعني أن تتوحد الفصائل الفلسطينية على أهداف ثابتة وراسخة، وأن توظف مساحة الاختلاف لخدمة الأهداف الوطنية والقومية، دون أن تحول هذه المساحة إلى مجال صراع يعصف بهذه الأهداف ويذروها مع الرياح!

إن الأمة من أقصاها إلى أدناها تتعاطف مع الجهاد الفلسطيني، وتدعمه بكل ما تقدر عليه، حتى لو وقفت حكوماتها ضده، وهو ما يفرض على الفصائل الفلسطينية أن تنبذ الصراعات وتعتصم بحبل الله ولا تتفرق، عسى الله أن يجعل لها مخرجًا!

الإسلام مقابل السلام

مر الاستسلام للعدو النازي اليهودي بعدة مراحل، بدأت بشعار: إزالة آثار النكسة، ثم إسقاط الحاجز النفسي، ثم الأرض مقابل السلام، ثم السلام مقابل السلام، وأخيراً الإسلام مقابل السلام.

المرحلة الأولى كانت تعني التنازل عن فلسطين في مقابل سيناء والجولان والضفة والقطاع.

والمرحلة الثانية: التنازل عن فلسطين وتقديم الاعتراف بالعدو، وتطبيع العلاقات معه (إسقاط الحاجز النفسي)، وذلك من خلال اتفاقية كامب ديفيد. المرحلة الثالثة في مدريد: الأرض مقابل السلام، وقد اخترقتها اتفاقات أوسلو ووادي عربة، لتعطي للدولة الغاصبة حق الأمر والنهي في المنطقة، وتسخير العرب الذين وقعوا معها اتفاقات أوسلو ووادي عربة لتنفيذ الإرادة النازية في قمع المواطنين العرب، واتخاذ مواقف متطابقة سياسياً مع تل أبيب النازية. وبعد أن تم لليهود الغزاة ما أرادوا بدءوا يتحدثون عن السلام مقابل السلام، أي لا أرض للعرب ولا حقوق للفلسطينيين، والمطالبة بنزع سلاح سوريا إذا أرادت السلام دون الحصول على الجولان أو جزء منه، وتم ذلك بعد مجيء شارون، وإلغاء أوسلو، وتدمير السلطة الفلسطينية المحدودة، وجاءت المرحلة الحالية بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وخروج أمريكا

بقواتها إلى أفغانستان، ثم توجهها إلى الخليج لتغيير المنطقة "جذريًا" - كما صرح كولن باول وزير الخارجية الأمريكي - بعد احتلال العراق وإبعاد صدام وحكومته، وتعيين حاكم عسكري أمريكي لبغداد.

أسفرت أمريكا ومعها الكيان النازي اليهودي، عن خطط السلام المطلوبة، وهي إلغاء الإسلام أو أمركته، مقابل الحصول على السلام، بمعنى الرضا الصليبي اليهودي عن العرب وأنظمتهم، بما فيها السلطة الفلسطينية، وعبرت هذه الخطط التي نشرتها الصحف في العالم العربي وخارجه عن ضرورة تغيير النظم التعليمية والقيم الثقافية في الدول العربية، وإرساء الديمقراطية بالمفهوم الأمريكي، وتحديث المناهج الخاصة بتعليم الدين الإسلامي في المدارس، ومعه مناهج التاريخ العربي، بما يجعل الدين الإسلامي مجرد عبادات شكلية لا تتجاوز جدران المساجد، مع إلغاء الجهاد، وتأويل القرآن الكريم لتحقيق هذا الإلغاء.

وفيما يتعلق بالتاريخ، فإن مسألة استقلال الأوطان وحريتها وأبطالها، يجب أن تذهب إلى مجاهل النسيان، مع ضرورة حذف ما يتعلق بالاستعمار وجرائمه ونهبه لأموال الشعوب العربية وثرواتها وفرضه لثقافته وتصوراته على العرب والمسلمين، ويترتب على ذلك كله قبول الآخر (أي الغازي اليهودي الاستعماري، ونظيره الصليبي الاستعماري)، ونسيان المقدسات المغتصبة (فلسطين والقدس والخليل ورام الله وبيت لحم ونابلس...)، واستمرار تشريد خمسة ملايين

فلسطيني وضياع ممتلكاتهم وحقوقهم إلى الأبد!

"**الإسلام مقابل السلام**"، يعني إنهاء المقاومة بكافة أشكالها، واستدعاء الاستسلام بكل معانيه؛ حرصًا على البقاء "بيولوجيًا" تحت السيادة الصليبية اليهودية، وإلا فإن المتوقع هو الفناء الكامل! ومقدمات هذا الفناء تتمثل في القلاقل والاضطرابات التي تشمل العالم العربي من أقصاه إلى أدناه، وقيام الكيان النازي اليهودي بضرب من يشاء وقتما يشاء، وخاصة أنه يملك أقوى أسلحة الدمار الشامل وأحدثها، فضلاً عن الأسلحة التقليدية المعروفة!

"**الإسلام مقابل السلام**" هو شعار المرحلة الذي أخذت به دول عربية بعد الحادي عشر من سبتمبر، وهناك بعض الدول العربية التي كانت سباقة في الأخذ بالشعار قبل الحادي عشر من سبتمبر، فغيرت مناهج التعليم (التربية الإسلامية والتاريخ) بما يتوافق مع الشعار. النخبة المحلية تملك الاستعداد الطبيعي لخدمة السيد الصليبي وتابعه اليهودي، ثم كان الحصار المحكم للمساجد ومنابر الجمعة ليعتليها من ينصاعون للإسلام الأمريكي، ولا يتجاوزون الحدود بالكلام عن الجهاد أو الاقتصاد الإسلامي، أو الاستقلال الإسلامي أو الكرامة الإسلامية.

ورأينا أشباه جهلاء لا يفقهون قرآنًا ولا شريعة، ولا يجيدون نحوًا ولا صرفًا، ولا يحسنون إنشاءً أو تعبيرًا، يصعدون المنابر ويؤمون الناس، ولهم - يا للمفارقة! - الأسبقية والحصانة قانونًا، على أهل التخصص وأصحاب الجدارة؛ لأنهم يحملون تصاريح من الأجهزة

المعنية، أما المتخصصون الجديرون فمصيرهم السجون إذا صعد أحدهم المنبر أو أمَّ الناس بغير تصريح!

"**الإسلام مقابل السلام**" هو التعبير عن الخروج من الملة والأوطان جميعًا لحساب السيد الصليبي اليهودي الذي يأمر وينهى، ولا يجد أدنى مقاومة من الأنظمة، ولا الشعوب المقهورة المقيدة بملايين القيود والأصفاد، لذا لم يكن غريبًا أن تخترق الآذان والأبصار أصوات الفتاوى وتصريحات علماء السلطة في أكثر من مكان عربي، تتحدث عن الغزاة الصليبين، بأنهم معاهدون وأصدقاء (!)، وتحرم قتالهم (وتحلل ضمنًا مساعدتهم وفتح البلاد لهم).

وذهبت بعض الفتاوى والتصريحات إلى مدى أبعد، حيث حرمت الدعاء على اليهود الغزاة فوق المنابر؛ لأنهم أهل كتاب، (وكأنهم لم يحتلوا القدس ولا فلسطين، ولم يذبحوا - وما زالوا - أبناءها، أو يدمروا البيوت والأشجار والمزارع، أو يحاصروا السكان، أو يفرضوا عليهم حظر التجوال!).

وحين حرمت على الخطباء الإشارة إلى ما يجري في الأرض الفلسطينية المحتلة، وحين انتقدت الجهاد ووصفت المجاهدين في فلسطين بأنهم ليسوا أهل إيمان ولا ثقة، وحين حللت الربا من خلال تحليل فوائد البنوك، ليظل المسلمون في دائرة الارتهان للصليبيين واليهود الذين يقرضون العرب والمسلمين بفوائد مركبة تتزايد مع الأيام، وتلتهم ثرواتهم ومدخراتهم، وتعوقهم عن بناء أنفسهم ونمو قدراتهم.

لقد أقيل مؤخرًا رئيس لجنة الفتوى في بلد عربي في فبراير ٢٠٠٣م، أفتى بمقاومة الغزاة المستعمرين، وطالب بضرورة الحصول على السلاح النووي لمواجهة الغزاة والطامعين... مما يعني أن "الإسلام مقابل السلام" صار حقيقة واقعة ينفذها العرب عن طيب خاطر، وأن الدول العربية ستمضي على خطى "أتاتورك" ولو جرت الدماء أنهارًا من المحيط إلى الخليج؛ لإلغاء الإسلام بعد توظيف "النخبة المستغربة" للهجوم على الإسلام، ووصفه بالظلامية والرجعية والتخلف في أجهزة الدعاية والصحف والمنتديات المختلفة.

ولكن، هل يتحقق السلام حتى لو أُلْغِيَ الإسلام؟ هذا ما سوف تجيب عنه الأيام، والله غالب على أمره!



المقاومة: دم بدم!

في غرة المحرم ١٤٢٤هـ، كان الناس يحتفلون في مشارق الأرض ومغاربها بعيد الهجرة، وكان حكام المسلمين يعقدون مؤتمر القمة الإسلامي بجوار قاعدة "العديد" القطرية/ الأمريكية، وكان اليهود الغزاة يواصلون مذابحهم البشعة وتدميرهم للبيوت في فلسطين...

وبينما كان الوفد الكويتي يتلاسن مع الوفد العراقي في مؤتمر القمة الإسلامي، ويفحش بعضهم لبعض القول، جاء الخبر العاجل من جبل الكرمل بفلسطين يتحدث عن عملية استشهادية شجاعة، تودي بخمسة عشر يهوديًا غازيًا، وتجرح ثلاثين آخرين كانوا في حافلة تتأهب للتحرك وسط مدينة حيفا الفلسطينية المحتلة!

أثلج الخبر صدور الشعوب الإسلامية، دون حكامها والحكام الصليبيين في أمريكا وأوروبا، وسرّ الفرح الشعبي الذي عم العالم الإسلامي، أن العملية الاستشهادية العظيمة، جاءت بعد أن ازداد العدو اليهودي النازي شراسة ووحشية وإجرامًا، وارتفع معدل الشهداء الفلسطينيين في غزة والقطاع إلى مستويات غير مسبوقة.

الدم الفلسطيني الذي سفحته القوات اليهودية الغازية - وتسفحه يوميًا - لا يحرك شعرة في رأس السلطة الصليبية التي تحكم العالم، وتجرد جيوشها الجرارة لتنفيذ قرار واحد صادر عن مجلس الأمن

ضد العراق، في الوقت الذي لم تحرك فيه ساكنًا من أجل خمس مئة قرار صادرة عن مجلس الأمن والأمم المتحدة، ضد الدولة النازية اليهودية!

كل ما قاله السيد الرئيس (جورج بوش الابن) تعليقًا على استشهاد ثمانين فلسطينيًا مدنيًا هو أنه يشعر بالقلق! أعلن ذلك السيد "آري فلايشر" – الناطق الرسمي باسم البيت الأبيض، أما حين يتعلق الأمر بالدم اليهودي الاستعماري، فإن السيد "بوش" والسيد "الناطق باسمه" يقيمان الدنيا ولا يقعدانها؛ لأن الإرهاب الفلسطيني الأصولي المتعصب يهدد سلام المنطقة وسلام العالم أجمع، ويقتضي تحريك ربع مليون جندي صليبي أمريكي بدباباتهم وطائراتهم وقنابلهم وأسلحتهم "المدمرة دمارًا شاملاً"، عدا الألوف من الجنود الصليبيين الإنجليز والأستراليين والطلاينة والهولنديين وغيرهم؛ لوقف الإرهاب، والقضاء على الدولة العراقية التي تساعد الإرهابيين في فلسطين!

وإذا كان موقف الحكومات الصليبية من إهراق الدم الفلسطيني باردًا، وموقفها من إهراق الدم اليهودي الاستعماري ساخنًا، فإن موقف السلطة الفلسطينية يبدو غريبًا ومؤسفًا! لقد أعلنت هذه السلطة على لسان "صائب عريقات" – وزير الحكم المحلي – رفضها لاستهداف المدنيين (سواءً كانوا فلسطينيين أو يهودًا غزاة!). ويبدو أن السلطة التي كانت – وما زالت – تعيش أوهامًا وخيالات خاصة بها.

إنها تتصور أنها ما زالت قادرة على إقامة دولة فلسطينية مستقلة،

وصنع ما يسمى بسلام الشجعان، في حين تقول التقارير: إن ما يدور في ذهن السلطة لن يتحقق أبدًا، ولن أذهب بعيدًا، فقد نشرت الأهرام في ٢٠٠٣/٣/٦م تحقيقًا مطولاً على صفحتها السادسة بعرض سبعة أعمدة عنوانه: فلسطين تستغيث.. نكبة ٤٨ تتكرر في الضفة الغربية وقطاع غزة، وقالت في مطلعه:

"من أقصى جنوب قطاع غزة في رفح تبدو مأساة الفلسطينيين واضحة للعيان.. مئات المنازل جرى تدميرها، آلاف الدونمات من الأراضي الزراعية المثمرة وآبار المياه جرفت، المستعمرات الإسرائيلية في قطاع غزة أصبحت معزولة عن التجمعات الفلسطينية بمساحات واسعة من الأراضي التي جرفتها قوات الاحتلال الإسرائيلي، المشهد نفسه يجده الزائر لأي مدينة فلسطينية في الضفة الغربية والقطاع في بيت لاهيا، وبيت حانون، ودير البلح، وخان يونس، ونابلس، وقلقيلية، وبيت لحم، والخليل، وطولكرم، وجنين...".

وشددت "الأهرام" في تحقيقها على أن حلم الدولة الفلسطينية يتبخر، وأن توسيع المستعمرات وضمها على رأس جدول الأعمال لحكومة "شارون" الثانية، وتذكر "الأهرام" أن ٣١ قرية فلسطينية مهددة بالزوال، وأن اليهود الغزاة يهجرون الفلسطينيين لإقامة "القدس الكبرى" والجدار الفاصل على الخط الأخضر.

اليهود الغزاة يمضون في خططهم الرامية إلى "تهويد" فلسطين

كلها، وتنقيتها من الدم الفلسطيني، بدعم العالم الصليبي، وصمت العرب والمسلمين، وأحلام السلطة وخيالاتها!

ولم يبق إلا الأمل في الله وحده، ثم في المقاومة الشجاعة التي تضحي بأبنائها في مواجهة إجرام وحشي غير مسبوق، وهو ما يدعونا إلى دعمها بكل ما نستطيع؛ لتواصل مسيرتها، وتوقف نهر الدم الفلسطيني الذي يريقه اليهود الغزاة بلا رحمة. العمليات الاستشهادية وحدها كفيلة بأن تجعل الدم اليهودي المستعمر يساوي الدم الفلسطيني الأسير، أما الخطب والمفاوضات والتضرع على أبواب الصليبيين واليهود، فلن تجعل للدم الفلسطيني قيمة ما. المقاومة وحدها هي الطريق لجعل الدم الفلسطيني أغلى من الشيكل اليهودي، والدم اليهودي جميعًا!



التمثيل بجثث الشهداء؟!

كان الطبيب الفلسطيني على شاشة التلفزة يتحدث بانفعال وقهر، وهو يشرح معالم التشويه والتقطيع التي قام بها جنود العدو اليهودي في جثث الشهداء الفلسطينيين الذين قتلوهم في غزة، وهم آمنون وادعون يسعون إلى تحصيل أرزاقهم ومعاشهم! لم أستطع متابعة المشهد الأليم، وأحسست بالطعنات تنتقل إلى قلبي وكبدي، ومن الهم لم أستطع البكاء، ومن الغم لم أقدر على الكلام؛ تجمدت وتبلدت، وحاولت أن أشغل نفسي بشيء ينسيني ما شاهدته على الشاشة الصغيرة، ولكن ذهني كان مشدوداً إلى صورة الإجرام والتحدي!

مثلي لا يستطيع أن يفعل شيئاً، غير الدعاء والصلاة، فنحن - المواطنين العرب - لا حول لنا ولا شأن، لا نستطيع أن نختار لأنفسنا ولا لغيرنا، علينا أن نسمع ونطيع، ونردد الشعار القديم/ الجديد: لا أرى، لا أسمع، لا أتكلم، ومن يخالف فهو يعرف مصيره، ويعلم النتائج التي تترتب على ذلك.

تصورت أن يهب كتابنا - وخاصة كتاب السلطة - إلى استنكار الفعلة الشنعاء التي قام، ويقوم بها، جنود العدو النازي اليهودي في فلسطين، ولكني وجدتهم مشغولين بقضايا أخرى، أهم من ذلك بكثير..

إنها قضايا كرة القدم ومدربيها ولاعبيها ومبارياتها، وقضايا الفنانين وزيجاتهم وطلاقاتهم وأفلامهم المسموحة والممنوعة والباردة والساخنة، وفي عالم السياسة والوطنية، فالبعض مشغول بتنحية "صدام حسين التكريتي"، وإرضاء السادة الصليبيين في أمريكا والغرب، وتبكيت الذين يصورون الحرب الاستعمارية الأمريكية الغربية بأنها حرب صليبية، ويقولون: أيها الظلاميون السلفيون الأصوليون، لا تصوروها بأنها حرب دينية، فالجماهير التي خرجت في ألف مدينة ليست صليبية، بل من كل الأديان، وتطالب بمنع الحرب ضد العراق. ونحن نقول لهؤلاء البعض: ومن قال من المسلمين: إنها حرب دينية؟ ألم تسمعوا السيد "بوش" وهو يصفها - أي الحرب - بأنها حملة صليبية؟! نحن لم نقل، هم الذين قالوا قديمًا وحديثًا: إنها صليبية، والحمد لله أن جماهيرهم أدركت أن البترول لا يستحق إهراق دماء المسلمين ولا دماء المستعمرين، فأعلنت: "لا للنفط مقابل الدماء"!

والبعض مشغول باتهام المدافعين عن الأمة والعراق بأنهم عملاء لصدام، ويقبضون منه، والبعض مشغول بالأذان في الميكروفونات أو مكبرات الصوت، ويحرض وزير الأوقاف ضد الأئمة ومقيمي الشعائر الإسلامية الذين يرفعون الأذان لنداء المسلمين إلى الصلاة، فهذا يزعج المشاعر المرهفة، ويقض مضاجع المستنيرين الذي ينامون عند الفجر، بعد السهر والفرفشة طوال الليل! ويقولون: لقد ظل الإسلام ثلاثة عشر قرنًا من دون مكبرات صوت.. فما أهميتها في هذا القرن أو

القرون التالية؟ وبالطبع فهؤلاء لا تشغلهم قضايا الأمة ولا جراحاتها إلا بقدر إرضاء السيد الصليبي الاستعماري، وتابعه النازي اليهودي، وخدامه من "الكرازيات"[١] المستنيرين الذين يعملون على تصحيح أفكار الظلاميين الأصوليين السلفيين الطالبانيين البن لادنيين[٢].

لا تستطيع أينما وليت وجهك أن تجد اهتمامًا يذكر بمسألة التمثيل بجثث الشهداء الفلسطينيين، حتى رجال السلطة الفلسطينية المحدودة مشغولون بتطبيق خطة "خريطة الطريق" التي تحفظ عليها النازيون اليهود، وأهملها الصليبيون الاستعماريون إلى ما بعد احتلال العراق والسيطرة على نفطه وتقسيمه إلى دويلات، وتعيين "الكرازايات" الجدد، والانتقال إلى النقاط الأخرى في جدول الأعمال، أي احتلال بلاد إسلامية وعربية أخرى وتقسيمها "وتكريزها" – مشتقة من كرازاي – والاستيلاء على نفطها وتغيير مناهج دينها وتاريخها.

رجال السلطة مشغولون بإيقاف عسكرة الانتفاضة (هل هي جيش مسلح يا أشاوس؟) لمدة عام، كي يرضى السفاح النازي "شارون" بالتفاوض – مجرد التفاوض – مع النشامى، ويمنحهم دويلة هزيلة بلا سيادة ولا دفاع ولا مستقبل ولا كرامة عندما تسمح الظروف والأحوال بتلك الدويلة، وهي المفهوم النازي اليهودي، وهي لن تسمح أبدًا؛ لأن هذا المفهوم يكرس "للترانسفير"، أي التهجير في اتجاه سيناء والضفة

---

(١) الكرازايات: نسبة إلى كرازاي الذي عينته أمريكا حاكمًا لأفغانستان.
(٢) البن لادنيين، نسبة إلى أسامة بن لادن.

الشرقية لنهر الأردن وجنوب لبنان والبحر المتوسط!

التمثيل بجثث الشهداء جريمة من الجرائم الوحشية التي يحرمها الإسلام، من منطلق احترامه لكرامة الإنسان، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء: ٧٠). ويوم مرت جنازة يهودي في المدينة على الرسول (ﷺ)، وقف احترامًا لها، وقال للصحابة (رضوان الله عليهم)، وكان بعضهم استنكر أن يفعل ذلك: أليست نفسًا إنسانية؟ صدقت يا كريم الأخلاق - صلى الله عليك وعلى آلك وأصحابك وسلم - فقد قدمت درسًا للإنسانية كلها في احترام حقوق الإنسان، حتى لو كان بالوقوف عند مرور جنازة يهودي!

بيد أن أحفاد القردة والخنازير - وليغضب السفير الأمريكي الذي قتلت بلاده ملايين البشر وأبادتهم، كيفما يريد - جاءوا اليوم لقتل أصحاب الأرض الأصليين وإبادتهم، ولا يكتفون بالقتل، ولكنهم يمثلون بالجثث ويشوهونها ويقطعونها، دون أن يختلج لهم جفن، ودون أن يردعهم عن الوحشية رادع من خلق أو قانون أو تشريع أو ضمير!

ترى هل يفعل بهم الفلسطينيون ذلك حين يتمكنون منهم؟ لا أعتقد ذلك؛ لأن المسلم ذو ضمير حي، ويخشى ربَّه، ولكن التمثيل بجثث المسلمين لن يخيفهم، ولن يمنعهم من الجهاد والمقاومة، ولو طال المدى، ولو امتد الزمان.

أما الإعلام العربي اللاهي الذي يمر على وحشية اليهود الغزاة مرور الكرام، ويفرغ لفتح أبوابه أمام الطبالين والزمارين والعوالم

والغوازي والمشخصاتية وأشباههم، فجريمته لا تقل وحشية عن وحشية اليهود الغزاة، وتمثيلهم بجثث الشهداء الفلسطينيين؛ لأنه كان يستطيع أن يفضح هذه الجريمة بكل قوة ووضوح، وخاصة أن بعض القنوات الفضائية تملك قدرة لا بأس بها على ترجمة أحداث الجريمة ووقائعها.

إن الوحشية اليهودية النازية، وهي تمثل بجثث الشهداء، لا تفعل شيئًا شاذًا، فما تفعله هو امتداد لهدم البيوت على أصحابها، وتجريف الأرض، واستئصال الشجر، والإفساد في كل مكان. ولن يرد هذه الوحشية غير الإيمان الراسخ بالجهاد والمقاومة، حتى الشهادة أو النصر بإذن الله.



القوة هي الحق = بيض الصفائح لا سود الصحائف

واهم وساذج ومخطئ، كل من يظن أن الأمم المتحدة أو القانون الدولي أو الرأي العام العالمي يمكن أن يردع الأشرار المعتدين أو يعيد الحقوق إلى أصحابها، فقد عشنا قرنًا كاملاً من الزمان تحت الوهم والسذاجة والخطأ، حتى ضاعت فلسطين والقدس والكرامة العربية، ولم يعد لنا شبر من الأرض إلا بقدر ما بذلناه في حرب رمضان من جهد ودم.. أيضًا فإن الاستسلام لإرادة الأشرار المعتدين لن ينقذ الأمة من المصير الذي ينتظرها، وهو أسود حالك يستشعره الناس، ويرونه بنور البصيرة، وإن كانوا لا يملكون إزاءه إبرامًا ولا نقضًا..

أقرب الأمثلة على صحة ما أقول: العراق وكوريا. اتهم الأشرار المعتدون العراق بحيازة أسلحة دمار شامل، وطالبوا بنزعها، وجندوا العالم ومؤسسة الأمم المتحدة لإدانة العراق وإصدار القرارات الملزمة بنزع هذه الأسلحة المزعومة، وانطلقت فرق التفتيش تدوس أرض الرافدين، وتبحث في كل مكان حتى غرف النوم الخاصة بحكام العراق عن هذه الأسلحة، وظلت قرابة ثلاثة أشهر تعمل وتتحرك يمينًا وشمالاً، ولم تجد شيئًا.. بل إن صواريخ "الصمود" التي زاد مداها عشرة كيلومترات عن المدى المسموح به تم تدميرها علنًا وعلى رؤوس الأشهاد.. ومع ذلك كله فإن الأشرار المعتدين ضربوا عرض الحائط

بالتنازلات العراقية والقوانين الدولية والمظاهرات العالمية، وجردوا جيوشهم وأساطيلهم، وأغاروا على العراق ومزقوه ودمروه وقتلوا أهله وسرقوا تراثه ونهبوا ثروته، وداسوا كرامة الأمة بأحذيتهم الثقيلة، ووقف قادتهم في قصور عاصمة الخلافة يمارسون إذلال العرب والمسلمين بتصريحاتهم المليئة بالصلف والغطرسة والفجور.

وعندما اتهم الأشرار المعتدون كوريا الشمالية بالاتهام نفسه الذي وجهوه إلى العراق، فإن الكوريين الشماليين ردوا عليهم بطريقتهم العملية المجدية، وهي طرد المفتشين الدوليين الذين يراقبون البرنامج النووي في بيونج يانج، وإزالة كاميرات التصوير، وعندما استمع الكوريون الشماليون إلى بعض التهديدات من الأشرار المعتدين ردوا بتصريحات واضحة لا لبس فيها، وقالوا: إننا سنضرب الشاطئ الغربي لأمريكا، وسنمحو فلوريدا من الوجود بالصواريخ النووية!

تراجع الأشرار المعتدون، وقالوا: إن كل الأمور يمكن حلها بالمفاوضات، وطلبوا من كوريا الجنوبية، والصين وروسيا التدخل لدى كوريا الشمالية؛ كي تجلس إلى مائدة المفاوضات، ولم يكتف الكوريون الشماليون بهذا الخضوع الأمريكي، بل أعلنوا في أول جلسة للمفاوضات في بكين (٢٠٠٣/٤/٢٤م) أنهم يملكون أسلحة نووية!

الفارق بين الحالتين هو الفارق بين الحق والقوة.. العراق كان معه الحق، ولكنه لم يملك القوة، فتحول إلى ميدان للرماية، وجرى تدميره، وإبقاؤه بلا حكومة ولا قيادة، اللهم إلا قيادة جنرالات الاحتلال والنهب!

كوريا الشمالية كانت معها القوة، فاستطاعت أن تلوي ذراع الأشرار وتخضعهم لإرادتها وتنجو من المهانة التي تعرض لها العراق وأمته العربية والإسلامية!

من الذي قال: إن الحق وحده يكفي في هذا الزمان كي تعيش آمنًا مطمئنًا؟! كانت فلسطين ملكًا لأهلها وشعبها، والدنيا كلها تعلم ذلك، ولكن الغزاة اليهود المجرمين تسلحوا بالقوة والوحشية، وطردوا الفلسطينيين من أرضهم، بعد أن قتلوا وذبحوا ونهبوا ودمروا، وصدرت عشرات القرارات من مجلس الأمن الدولي والجمعية العامة للأمم المتحدة، ولم ينفذ قرار واحد منها، ولم يعد فلسطيني لاجئ واحد إلى وطنه، ولم يعاقب الغازي المجرم المتوحش بأدنى عقوبة.. لماذا؟ لأن القوة هي الحق، والحق من دون قوة تحميه وتحافظ عليه لا قيمة له ولا يصغي إليه أحد، فضلاً عن أن يستجيب له أحد!

في عصورنا الماضية، استجارت امرأة مسلمة في "عمورية" بالخليفة المعتصم؛ لأن حاكم عمورية الرومي - الروم دائما! - أهانها وآذاها، وصرخت صرختها الشهيرة مستغيثة: وامعتصماه! فرد عليها فورًا: لبيك أختاه!

ويروي التاريخ درسًا مفيدًا ومهمًا للعقلية الإسلامية في تفكيرها وإرادتها ومنهجها حين تستقيم على الجادة وترى الأمور بمنظار سليم: أراد المعتصم أن يوضح المنهج الصحيح في مواجهة الأحداث، فجمع من حوله، وطرح عليهم قصة المرأة المسلمة المستغيثة، وطلب منهم

تصورًا لمواجهة الأمر، فاستدعى القوم المنجمين وعلماء الفلك! وقالت النجوم: إن الحرب خاسرة والجيوش منهزمة، وعلى الخليفة أن يؤجل الخروج حتى لا يخسر ولا ينهزم! ولكن الخليفة المسلم المجاهد رفض ما قالته النجوم، وما قاله الذين يطالعون النجوم، وجهز جيشه، أي أعده للقتال، وخرج إلى عمورية - مهاجمًا لا مدافعًا! - فأحال ليلها نهارًا، وحررها، وانتصر لامرأة مسلمة لا يعرفها، وهزم الروم، وحفظ كرامة العرب والمسلمين. وتولى الشاعر العظيم "حبيب بن أوس" المعروف باسم "أبي تمام" تسجيل هذه اللحظة التاريخية الغارقة، في قصيدته البائية المشهورة، ومطلعها:

السيف أصدق أنباءً من الكتبِ

في حده الحد بين الجد واللعبِ

بيض الصفائح لا سود الصحائف

في متونهن جلاء الشك والريبِ

لقد قدم المعتصم درسًا مهمًا لمن بعده، وخاصة في زماننا، وهو أن امتلاك الإرادة والعزيمة، مع الإعداد والتجهيز، يؤدي إلى النصر والغلبة، خاصة عندما يكون الهجوم خير وسيلة للدفاع.. أما المنجمون وضاربو الودع ودعاة التنازل والاستسلام، فهم الخاسرون دائمًا، المهزومون أبدًا!

هناك من يقرع الأمة ويبكتها ويلومها؛ لأنها لم تستطع تنحية صدام؛ كي يتجنب العراق الاحتلال والدمار، ونسي أن المعتدين الأشرار، جاءوا

ليحتلوا ويدمروا؛ لأنهم كانوا على يقين من أن المنجمين وقراء الطالع في العالم العربي لن يحاربوا ولن يدافعوا عن أنفسهم، بل سيساعدونهم على الاحتلال والدمار، وهو ما تحقق بالفعل، وصارت المعزوفة الرائجة الآن، هي: صدام سبب المأساة، وسبب الاحتلال، وسبب الدمار!

وقد انفتحت في الصحف والإذاعات والتلفزة ملفات "صدام" القديمة منذ التصفية للخصوم حتى تاريخه الجنسي، مروراً بجريه في إيران واحتلاله للكويت وخروجه منها، وكأن هذه الملفات لم تكن معروفة من قبل، ثم وصل بعضهم إلى درجة من التدني ليصف الغيورين على العراق وكرامة الأمة بأرامل "صدام"! ونسي المنجمون وقراء الطالع أن قطار الاستعمار الصليبي، لا يركبه إلا الأذلاء والمهانون والمستعبدون.. ومع ذلك فهم مصرون على ركوبه، وإقناع غيرهم لمتابعتهم على طريق الندامة!

والسؤال الآن: لماذا نرضى الدنية في ديننا ودنيانا؟ لم لا نأخذ بأسباب القوة والتفوق؟ لم لا نقلد كوريا الشمالية على الأقل ونحن نملك إمكانيات أكبر منها؟ لم نفرط في إرادتنا وقوتنا؟! لقد أثبتت التجارب في الماضي والحاضر - وستثبت في المستقبل أيضًا - أن القوة هي الحق، والحق من دون قوة لا قيمة له، ولا يصغي إليه أحد، فضلاً عن أن يساعده أحد!

لقد استخدم "صدام" القوة ضد شعبه، فقهره وأذله وأخضعه، ولم

يستخدم القوة ضد خصوم شعبه وأعدائه، فقهروه وأذلوه وأخضعوه، واستباحوا الوطن والأمة جميعًا. وفعل آخرون مثل "صدام" وينتظرون دورهم من قائمة الخصوم والأعداء.. فهل يتعظ من يعنيهم الأمر ويستعيدون سيرة الخليفة المنتصر في عمورية بامتلاك الإرادة ومصالحة الشعب وبناء القوة الحقيقية؛ لنكون "بيض الصفائح لا سود الصحائف"، كما قال الجد أبو تمام؟



مباهج القوة!

للقوة مباهج عند أصحابها، فهم من خلالها يستطيعون الاستمتاع بفرض شروطهم على الخصوم، بل إخضاعهم والتلذذ باستسلامهم، وتلك هي البهجة الكبرى التي يحلم بها كل قوي منتصر يمشي في الأرض مرحًا، ولا يردعه دين ولا يوقفه ضمير. وهذا ما فعله الصليبيون الاستعماريون الغزاة في العراق والخليج ضمنًا.. بمنطق القوة، ومن قبله منطق الخداع، لقد استطاعوا أن يجعلوا الطاغية الغائب "صدام حسين التكريتي" لعبة في أيديهم تتحرك "بالريموت كنترول"، فيحارب من غير ميدان، مرة في إيران، وأخرى في الكويت، ويستنزفونه ومعه أهل الخليج، حتى صاروا من المدينين "للركب" – مع أنهم يملكون البترول!.

وبعد الحصار والإضعاف، فرضوا إرادتهم بالقوة، وجاءت جيوشهم الجرارة، واقتحمت أرض الخلافة، وعاصمة الخلافة، بعد أن قتلت وهدمت، ودمرت وخربت، واستولت على كل شيء، البلاد والعباد، وراحت تمارس لعبة الاستمتاع بمباهج القوة. فأعلنت أنها لن تسمح بقيام حكومة إسلامية ولو كانت تعبيرًا عن إرادة الشعب العراقي المسلم، وأعلنت أنها ستغير مناهج التعليم العراقي بما يتماشى مع الإرادة الصليبية الاستعمارية، فلا يتعلم الأطفال العراقيون المسلمون

شيئًا عن إسلامهم، ولا تاريخهم، وبدلاً من الإلمام بسيرة محمد (ﷺ)، وخالد بن الوليد، وصلاح الدين، وقطز، فإنه يتعين على طلاب المدارس في العراق المحتل، معرفة سيرة "كارازاي"، وجاي جارنر، وتومي فرانكس، وأحمد الجلبي!

كما أعلنت عن قائمة طويلة من المطلوبين، على رأسهم رئيس النظام المنهار، سميت – سخرية – بقائمة الكوتشينة، حيث طبعت صور المطلوبين على ظهر أوراق الكوتشينة، تعبيرًا عن مزيد من بهجة القوة والانتصار..

لقد تجاوزت مباهج القوة والاستمتاع بها، حدود دولة الخلافة الإسلامية وعاصمة الرشيد إلى عاصمة الخلافة الإسلامية الأخرى وعاصمة الأمويين، أقصد دمشق، فوجهت إليها الإنذارات، إنذارًا تلو إنذار، وعليها أن تسمع وتطيع، وإلا كان نصيبها الدمار والخراب والاحتلال، كما حدث لبغداد تمامًا! وكان على دمشق أن تغلق حدودها مع العراق؛ حتى لا تتهم بإيواء الهاربين أو اللاجئين من بلد الرشيد، وأن تحلف بالأيمان المغلظة أن "صدام" لم يهرب إليها أسلحة دمار شامل، وأنها لم تهرب إلى بغداد "مناظير" للرؤية الليلية، وتدخَّل مَنْ تدخَّل حتى تكف دمشق وتصمت تمامًا عن التضامن مع الشعب العراقي الجريح! ثم جاءت السيدة "كوندوليزا" لتطلب من دمشق أن تحل "حزب الله" وإلا.

وبالمناسبة، فإن العواصم العربية أو معظمها، استفادت من درس

بغداد، وأدركت أن استمتاع الصليبيين الأشرار بمباهج القوة، يفرض عليهم أن يشموا روائح البهجة من بعيد، فراح البعض يفتح ملفات صدام القديمة، وراح البعض يحول الكارثة الكبرى التي حلت بالإسلام والمسلمين إلى قصص وحكايات ترويها الصحف الصليبية الاستعمارية عن "ارامل صدام!" وعملائه وخدامه، ولو كانوا في وزن رجل مثل "جورج جالاوي!"، وراح البعض يتسابق في إلغاء التعليم باللغة العربية، وإحلال اللغة الإنجليزية مكانها، وتنقية مناهج التعليم من الإسلام والجهاد والوطنية والحديث عن الاستعمار والنهب الاستعماري؛ كي ترضى عنه القوة الصليبية الاستعمارية المهيمنة، وراح البعض.. وراح البعض...

ومن مباهج القوة التي استمتع بها الصليبيون الاستعماريون الأشرار، إعلانهم عن "تحرير العراق" دون الإعلان عن انتصارهم؛ حتى لا يتحملوا مسؤولية الغزاة المحتلين، وحتى يتحمل العراقيون البائسون مسؤولية إعمار بلادهم التي خربها المجرمون السفاحون بأموال النفط العراقي وأرصدته، وأعتقد أنهم سيحصلون على مقابل أسلحتهم وقنابلهم التي دمروا بها العراق من أموال العراقيين البائسين أيضاً. أليس المجد للقوة في زماننا؟

على الجانب الآخر يقوم العدو الصهيوني، بتقليد سيده الصليبي، بالاستمتاع بمباهج القوة من خلال فرض الإرادة اليهودية الشريرة على العرب عموماً، والشعب الفلسطيني خصوصاً، بتحريك الدمى التي

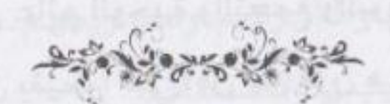
تلعب بها - أعني السلطة الفلسطينية التي كانت! - كيفما تريد! فقد أزاحت الرئيس السجين في رام الله عمليًا عن التفاوض والزعامة والقرار، وأحلت مكانه المناضل "البهائي" لينفذ مشيئتها، وأول بند في هذه المشيئة نزع سلاح المقاومة الفلسطينية بحجة الحفاظ على الشرعية! - هل سمع أحدكم عن الشرعية في فلسطين المحتلة؟! - ثم اعتقال المجاهدين الفلسطينيين نيابة عن جيش الدفاع.

وبعد أن استمتع الغزاة اليهود بقبول تنفيذ البند الأول في مشيئتهم الشريرة، أغدقوا - مع سادتهم الصليبيين - المدائح والإشادة بالمناضل "البهائي" ومستقبله في خدمة السلام!! ثم عبروا عن مدائحهم وإشادتهم عمليًا، بزيادة معدل المذابح والمجازر في غزة ورفح والضفة (قتلوا ثلاثة عشر فلسطينيًا بينهم أطفال في يوم واحد هو الخميس ٢٠٠٣/٥/١م) عدا الاعتقالات وهدم البيوت وتشديد الحصار!

من مباهج القوة الاستعمارية (صليبية وصهيونية) أن تظهر نساؤنا في العراق وفلسطين وأفغانستان على شاشات التلفزة وصفحات الصحف وعبر الأثير، باكيات مولولات صائحات، يلطمن الخدود على أبنائهن وبناتهن وأزواجهن، القتلى والجرحى، وبيوتهن التي هدمها القصف أو دمرتها الجرافات، ولم يعد مشهدهن غريبًا، أو مثيرًا للدهشة، فقد ألفت الحكومات الإسلامية وغير الإسلامية هذا المشهد لتكراره الرتيب الممل، دون أن تحرك في هذه الحكومات ساكنًا!!

ومع أن ربنا (ﷻ) أمرنا أن نتسلح بالقوة: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ (الأنفال: ٦٠)، فإن الحكومات الإسلامية رفضت أن تأخذ بهذا الأمر، وعدته شعارًا لبعض الجماعات الإسلامية التي تخاصمها، ونكاية في هذه الجماعات فقد قررت أن تكون "القوة" لمكافحة شعوبها فقط، أما "القوة" لمكافحة أعداء الشعوب فمؤجلة إلى أجل غير مسمى، وعلى المتضرر أن يخبط رأسه في أقرب حائط يصادفه!

أرأيتم كيف تكون "مباهج القوة" لدى الاستعماريين الأشرار (صليبيين وصهاينة) وكيف تكون "القوة" لدى الحكومات الإسلامية. أليست القوة هي الحق في زماننا، وكل زمان؟ ويا حسرة على العباد!!



واحمداه!

في ذكرى مولدك يا رسول الله أتوجه إليك بالخطاب، فأنت الذي أشرقت على الدنيا وهي ظلام دامس، فأحييت الأمل في عصر من النور والسلام والأمن والعدل، وقبل ذلك وبعده، الاتجاه إلى الله، المعبود الواحد الأحد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، وعرف الناس بمجيئك يا حبيب الله، أن الانحناء لا يجوز لغير الله، وأن الإنسان الذي يعلن الشهادتين يصبح حرًا في أعظم صور الحرية، فلا يخاف ظلمًا ولا هضمًا، ولا يخشى صنمًا ولا وثنًا، ولا يرهب طاغية أو ديكتاتورًا، ومن ثم كان الانتقال الأكبر، من عالم الشتات والفرقة والظلام والبداوة، إلى عالم الوحدة والتجمع والنور والتحضر، واستطاع المسلمون البسطاء أن يقيموا في أقل من قرن من الزمان أمة عظيمة قوية، تحطم أكبر قوتين على وجه الأرض (الفرس والروم)، وتنشر العدل على أعرض مساحة من الأرض، وتشيع الأمن في ربوع الدنيا التي وصلت إليها دعوة الإسلام.

في ذكرى مولدك يا حبيب الله، عرف الناس أن كل مخلوق مرهون بعمله ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (المدثر: ٣٨)، ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ (الطور: ٢١)، ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ (فاطر: ١٨)، فرفعت عن كاهل الإنسانية عبء الظلم الغاشم الذي فرضته جهات دينية وسياسية

على البشر، وحملتهم فوق طاقتهم، وآيستهم من رحمة الله، ثم إنك يا نبي الله، علمت أتباعك أن العقيدة والسلوك كيان واحد لا ينفصلان، وأن أساس العقيدة هو الولاء لله والبراء مما عداه، وأن أس السلوك وقاعدته هو العمل والجهاد في إطار العبارة، ثم أنذرت وحذرت بأن من يهمل الأساس والأس سيكون "قصعة الأمم" وذليلاً يتخطفه الناس، ويحظى بغضب الله وسخطه.. ولعل هذا ما يجعلني - يا حبيبي - أخاطبك من أجله في ذكرى مولدك المضيء المنير.

فقد صرنا - يا رسول الله - قصعة الأمم، يتخطفنا الناس من حثالة البشر وأشرارهم، يفعلون ما يريدون وما يرغبون، حتى صارت رغبتهم الأولى وإرادتهم المقدمة، هي: التخلي عن الإسلام! أي نعم.. التخلي عن الإسلام، وإلا أبادونا إبادة غير مسبوقة، بعد أن يجردوا جيوشهم وأساطيلهم وطائراتهم وصواريخهم، وأدواتهم المدربة من سماسرة التغريب والتيئيس والاستسلام!

مؤخرًا فقط، يا رسول الله، أقالت حكومة عربية تلصق باسمها لفظة "الإسلامية" وزيرين أحدهما وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية، والآخر وزير التعليم الأصلي (أي الإسلامي)، مع خمسين خطيبًا وإمامًا من أئمة المساجد، بتهمة "ميولهما الإسلامية"!

ومؤخرًا فقط، يا حبيب الله، أعلن الجيش في دولة إسلامية كبيرة، أنه لن يسمح للحكومة بتمرير قانون لا يغلق طريق العلم والعمل أمام السيدات والفتيات المسلمات (المحجبات)، وهدد الجيش المذكور وتوعد

لأن "الحجاب" من وجهة نظر قادته، يمثل تهديدًا خطيرًا للمنهج العلماني (التغريبي) للدولة التي كانت عاصمتها عاصمة الخلافة الإسلامية، ويسعى العالم في الزمان غير البعيد لاسترضائها، واستخدام "عملتها" التي كانت أقوى عملة على ظهر الأرض، سواءً كانت "الليرة" أو "الريال" السلطاني. لم يسمح العسكر في هذه الدولة الإسلامية لعدد من الزوجات المحجبات، وهن زوجات لكبار المسؤولين أو الوزراء بحضور احتفال تقليدي برفقة أزواجهن، بسبب الحجاب الذي هو فريضة على المسلمات بنص القرآن الكريم والسنة الشريفة وإجماع الأمة!

وفي فرنسا، بلد الحريات والديمقراطية، أعلن مؤخرًا وزير رفيع المستوى في الحكومة الفرنسية، أن الدولة تصوغ "قانونًا" يمنع "الحجاب" نهائيًا بالنسبة للمسلمات على أرض فرنسا؛ لأنه رمز للتطرف والإرهاب، بالطبع لن يشير القانون المقترح إلى زي "الراهبات" ولن يمنعه!

وفي بلدنا الحبيب، يا رسول الله، ينشط نفر من كتاب السلطة وكاتباتها؛ لإثبات أن حجاب المرأة المسلمة ليس واجبًا دينيًا، أو أنه يمثل إرهابًا وتطرفًا ورمزًا سياسيًا للحكم الديني! وقد شاهدت على الشاشة كاتبة سلطة فوق الستين ترتدي ملابس غير لائقة بعمرها تزعم أن أحاديثك عن الحجاب - يا حبيبي - غير صحيحة، ونصبت نفسها "فقيهة" دون علم، وهي تجلس بجوار أهل الفقه والعلم، ويبدو أنها

استمدت من كونها "كاتبة سلطة" جرأة الفتوى والادعاء والكذب عليك يا رسول الله!

وفي إطار مواز تخرج امرأة "متغرّبة" هاربة من بلدها المسلم لتصدر كتابًا - يهلل له الأشرار المستعمرون وأتباعهم في بلاد المسلمين - تتحدث فيه عن الحجاب وما تسميه النظام "الثيوقراطي"، وتربط بينهما، وترى الحجاب قمعًا وإهانة للمرأة!!

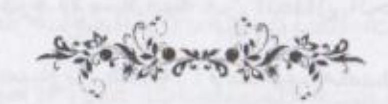
وقامت قيامة الدولة النازية الغاصبة لفلسطين من خلال صحافتها؛ لأن التلفزة في بلد عربي عرضت مسلسلاً تمثيليًا عن السلطان الناصر "صلاح الدين" الذي حرر "القدس" العتيقة من أسلافهم القدامى، وأعاد "الاعتبار" إلى الإسلام والمسلمين.. فالمطلوب - يا حبيبي - هو محو الذاكرة الإسلامية من أبطال الجهاد!

في بلاد الإسلام، صارت كلمة "الإسلام" مصدرًا للمتاعب والآلام، فهي إرهاب وهي تطرف، وهي إظلام، وتستوجب معاقبة من يؤمن بها - كما بينتها يا رسول الله - بشتى العقوبات، بدءًا من الحرمان من الوظائف العامة حتى الحرمان من عضوية النوادي الرياضية، فضلاً عن أشياء أخرى تعرفها بلاد الإسلام ولا تحتاج إلى إيضاح.

مطلوب من المسلمين اليوم - وفقًا للإرادة الصليبية الشريرة - أن يتخلى المسلمون عن إسلامهم تمامًا؛ كي يكونوا مواطنين صالحين يعيشون في سلام وأمان، وإلا فالويل لمن يعتقد أن الإسلام هو الحل، أو أن الشريعة الإسلامية تحقق العدل وتقدم المجتمع، أو أن أخلاق

الإسلام وقيمه الاجتماعية والاقتصادية كفيلة بالتغلب على التخلف والضعف والهوان!!

في ذكراك يا حبيب الله - سقطت عاصمة الخلافة الإسلامية بغداد، ويتوقع الناس أن تسقط عواصم أخرى للخلافة أو للإسلام؛ لأن الإرادة الصليبية الشريرة نجحت في تشكيل العقل الثقافي والسياسي في بلاد المسلمين، وإقناعه بأن الإسلام هو العقبة الكؤود التي تمنع المسلمين من التقدم والرقي والديمقراطية!! ولا أستطيع - يا حبيبي - في ذكراك، إلا أن أهتف - ولو كان هتافًا دون جدوى - وأقول: وامحمداه.. وامحمداه!! فلعل أحدًا في أمتك يصحو، ويدرك أن الإسلام هو صمام الأمان في مواجهة الأشرار والأخطار!!



القوة.. وإن طال السفر!

القول الفصل في عالم السياسة والاقتصاد والاجتماع هو القوة.. ولا شيء غير القوة. دعك من الكلام السخيف المكرور عن حقوق الإنسان وتقرير المصير والقوانين الدولية والرأي العام العالمي ومجلس الأمن والأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي.. فهذه الجهات وتلك القيم مجرد حبر على ورق، ما لم تكن مسنودة بالقوة الحقيقية التي تعبر عن إرادة حقيقية.

على مائدة المفاوضات يجلس طرفان أو أكثر للتفاوض حول قضية ما، وبقدر القوة التي يملكها كل طرف، فإنه يحصل على نتائج وكميات وفوائد تتناسب مع حجم هذه القوة. التاريخ يقول ذلك، والواقع يقوله أيضًا، والذين يتوهمون أن استجداء الحقوق والتوسل من أجل الحصول عليها سينيلهم ما يريدون مخطئون تمامًا؛ لسبب بسيط جدًا، وهو أن القوي لا يرضى بغير تنفيذ إرادته ومشيئته. ولا يتراجع إلا بقدر ما يراه لدى الآخر من قوة، فإن لم يجد، فلا تراجع أمام أي استجداء ولا استجابة لأي توسل!

قصتنا مع الغرب الصليبي الاستعماري وتابعه الصهيوني تؤكد ذلك منذ الحروب الصليبية حتى اليوم. لم يترك أرضنا، ولم يخضع لإرادتنا إلا بالقوة، التي تعددت صورها وأشكالها ومقاديرها.

البعض يقول: إن القوة تنتهي إلى المفاوضات، فمن باب أولى أن

نترك ممارسة القوة ونذهب إلى المفاوضات، ومهما طالت المفاوضات - فستؤدي إلى النتائج ذاتها التي تصنعها ممارسة القوة، وهذه مغالطة كبرى؛ لأن العدو حين يتأكد أن أحدًا لن يمسه بسوء ولن يلحق به ضررًا، فما الداعي كي يسلم بحقوقنا؟ هذه واحدة. والأخرى أن البعض يستهول مقدار التضحيات التي نبذلها في المقاومة والمواجهة، ويرى أن توفير التضحيات بالمفاوضات أفضل من الدخول في مقاومة غير مضمونة النتائج، وهذا بالطبع منطق خاطئ؛ وبعيد عن الصواب والواقعية؛ لأن التضحيات لابد منها بإرادتنا أو إرادة العدو، والأولى أن تكون بإرادتنا نحن؛ لأنها عندئذ ستجعلنا أقدر على استخلاص الحقوق وتفرض على الغير احترامنا؛ لأننا سنذيق العدو من الكأس نفسها.

إن التفاوض من غير قوة، ومن غير إرادة للحفاظ على القوى وتنميتها، هو استسلام رخيص، وهزيمة دون حرب، وهوان ذليل بكل المقاييس، **والحق سبحانه حين طالب المسلمين بإعداد القوة** ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ **(الأنفال: ٦٠)، فإنه وضع أساسًا استراتيجيًا لحياة المسلمين، حيث إن الأعداء حين يعلمون أن قوة تنتظرهم، سوف يخافون ويتراجعون، ويفكرون ألف مرة قبل الإقدام على جرائمهم وعدوانهم، ويستوي في ذلك الأعداء المعروفون والأعداء المجهولون.**

وسوف أذكر مرة أخرى بدرس كوريا الشمالية التي استطاعت أن

ترهب الشيطان الأكبر وترغمه على التفاوض القائم على الندية والمساواة، فقد عرف أن مخزونها من الصواريخ الطويلة المدى والأسلحة النووية يمكن أن يؤلمه وينزل به خسائر فادحة حتى لو لم تستطع هزيمته، والعكس حدث مع العراق، حيث كان مجردًا من القوة المادية والمعنوية في آن واحد، فلم تُجدِ المفاوضات ولا التنازلات التي طالت الكرامة الوطنية والقومية والإسلامية جميعًا، وجاء الشيطان الأكبر مزهوًا في خيلاء ليفرض الذل والاحتلال على العراق، ويفرض على بقية الدول العربية والإسلامية الخنوع والهوان والاستسلام لإرادته الشريرة؛ لأننا بلا قوة ولا إرادة لممارسة القوة!

وفي الآية الكريمة التي تشير إلى ضرورة إعداد المسلمين للقوة، ما يحتم ضرورة الحصول على أقوى الأسلحة وأحدثها وأمضاها لتدمير العدو. والإشارة إلى "رباط الخيل" في زمن نزول القرآن الكريم، تفيد أن الخيول آنئذ كانت هي السلاح الثقيل، أو سلاح الدمار الشامل بالنسبة لجيوش ذلك الزمان، فقد كانت أكثر تأثيرًا وأقوى تدميرًا من المشاة الذين يستخدمون السيوف، وعندما تطور الزمان استخدم المسلمون في عهد الأمويين سلاح البحرية، مثلما استخدمه الروم، واستطاعوا به تحقيق انتصارات عديدة، وعندما تخلفوا عن معرفة البارود والمدفعية انهزموا أمام الفرنسيين والإنجليز، ومع تطور الزمان، استطاع المسلمون أن يستخدموا أسلحة متقدمة، ولكنها للأسف كانت ضد بعضهم، والأمثلة كثيرة، ولا أريد أن أنكأ الجراح بذكرها، ولكني

أود أن أقول: إن السلاح المتقدم أو سلاح الدمار الشامل صار اليوم ضرورة للمسلمين بالأمر الإلهي "وأعدوا.."، وبالواقع الذي يتمثل في امتلاك العدو لهذا السلاح، وبكميات هائلة، مما يعني أنه لا يملكه للعب به أو التسلية، ولكنه يملكه لتهديد المسلمين، وتدميرهم حين يشاء.

إن الأصوات المذعورة التي ترى في الاستسلام منقذًا من تهديد العدو النووي، أو تزعم أنه لن يستخدمه لأنه سيتأثر به أو سيلحق به ضررًا بالغًا، هي أصوات لا تفكر إلا بمنطق أناني مرحلي، وهو لن ينقذها بحال؛ لأنه لا أخلاق العدو ولا ديمقراطيته بمانعة له من استخدام سلاح الدمار الشامل، وقد دمر الشيطان الأكبر "هيروشيما" و"نجازاكي" في أقل من نصف دقيقة، وذهب ثلاثة أرباع مليون مواطن ياباني مسالم إلى العالم الآخر في أقل من دقيقة، وبالتأكيد فلو امتلكت اليابان آنئذ قنبلة ذرية واحدة ما جرؤ الشيطان الأكبر على فعلته.

لقد تابع الناس في أواخر الصيف الماضي صلافة جمهورية الهند وغطرستها تجاه دولة "الباكستان" الإسلامية، وقد ظاهر الشيطان الأكبر الهند ضد الباكستان، مع أن الأخيرة قدمت له خدمات لا تقدر بثمن في عدوانه على أفغانستان المسلمة، ولكن الرادع الأكبر الذي جعل الهند تتراجع عن صلافتها وغطرستها، واستعدادها للعدوان على باكستان، هو نجاح الأخيرة في إطلاق الصواريخ النووية القادرة على

تدمير الملايين في لحظات خاطفة. لقد حسمت الصواريخ الشر الهندي المدعوم أمريكيًا وصهيونيًا وصليبيًا، وجعلت الحكومة الهندية تعود إلى العلاقات الطبيعية، وتقبل التفاوض على كل شيء، حتى كشمير المسلمة الذبيحة!

إن القوة مطلوبة على كل المستويات، حتى المستوى الشخصي، فإن الضعيف لا يأبه له أحد ولو كان من أولياء الله الصالحين، وقد سبق الشاعر "أحمد شوقي" إلى التعبير عن ذلك في "نهج البردة" مستخدمًا "الشر" بمعنى "القوة":

والشر إن تلقه بالخير ضقت بهِ

ذرعًا وإن تلقه بالشرّ ينحسم

بل كان الأسبق إلى ذلك رسولنا الكريم (ﷺ) حين قال: "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير". والقوة ليست العدوان في المفهوم الإسلامي، ولكنها ردع العدوان على المسلمين، ومنع التفكير فيه.

مشكلة النخب الحاكمة في بعض البلاد الإسلامية أنها لا تقوي أوطانها لمواجهة الأعداء الحقيقيين، ولكنا تقوي جيوش القمع والقهر لتكيد لشعوبها، ولتبقى متحكمة في مقدراتها وثرواتها، مع رفع الراية البيضاء أمام خصوم الأمة، و"صدام" لم يكن وحده في هذا السياق، فقد كان مجرد نموذج من النماذج السائدة في كثير من بلدان الإسلام.

تُرى هل تكون القوة بامتلاك أسلحة الدمار الشامل وحدها؟ أم أن هناك عناصر أخرى للقوة؟

إن بني عمك فيهم رماح!

في منتصف مايو ٢٠٠٣م، أعلن "البنتاجون" - وزارة الدفاع الأمريكية - عن إلغاء صفقة طلاء للمنشآت وغيرها، تقوم بها عدة شركات ألمانية نتيجة لموقف حكومة برلين من العدوان الأنجلو أمريكي على العراق، وعدم تأييدها للأمريكان في مجلس الأمن، فضلاً عن عدم الإسهام في القتال!

العقوبة الأمريكية ضد الألمان تبدو تافهة وصغيرة بالنسبة إلى حجم الاقتصاد الألماني أو الفوائد التي تعود عليه نتيجة إتمام الصفقة، ولكن "القوة" الأمريكية لا تتردد في استخدام أية طريقة لإيلام الحكومة الألمانية، مهما كانت بسيطة، ولو كانت تشبه "شكة الدبوس"، وذلك لإشعار الألمان بالغضب الأمريكي والقوة الأمريكية أيضًا.

"أرامل بوش" في بلادنا يستنكرون على الشعوب العربية أن تقاطع الكوكاكولا والبيبسي ومكدونالد واريال و... وبدلاً من أن يقولوا لحكوماتهم العربية (العظمى): أوقفوا الصفقات التي تقدر بعشرات المليارات لاستيراد السلاح والغذاء والأدوية والآلات وأدوات التعذيب وهواتف المحمول ومناهج التعليم الأمريكاني، فإنهم يصرون على أن المقاطعة (سلاح الضعفاء!)، وأنها لن تؤثر في الاقتصاد الأمريكي، بل يزيدون أنها ستؤدي إلى بطالة أعداد كبيرة من العرب الذين يعملون

في الشركات الاستعمارية الأمريكية والإنجليزية.

المقاطعة عنصر مهم من عناصر "القوة"؛ لإشعار الطرف الآخر بأنه يمكن إنزال الخسائر به، ومع أن حكوماتنا العظمى تخشى أن تبدو منها رائحة موافقة على المقاطعة، فضلاً عن المقاطعة نفسها، فإن الشعوب العربية في ظل الأوضاع الصعبة التي تعيشها والحصار السياسي الذي تفرضه عليها الحكومات، تقوم بدور كبير في مجال المقاطعة، وصار الشباب والأطفال وربات البيوت يدركن أن شراء الأغذية والمنظفات والسلع الاستعمارية الأمريكية هو عونٌ لأعداء الإسلام والمسلمين، ومظاهرة لهم ومناصرة، وكثيرًا ما شاهدت الناس في مواقع مختلفة يرفضون شرب الكوكاكولا أو البيبسي، والسيدات يرفضن شراء الإريال، ومع أن الأعداء يقللون من قيمة هذه المحاولة الشعبية، فإن الواقع يقول: إنها أصابتهم في الصميم، وأكدت لهم أن الشعوب العربية حين تحظى بحريتها وتملك إرادتها، فإنها تستطيع أن تضر الاقتصاد الاستعماري وتنزل به الخسائر الفادحة.

لقد رفضت شركات عديدة في السعودية والخليج عروضًا قدمتها أمريكا الاستعمارية لتأجير الشاحنات أو القيام بمهام لمساندة القوات الاستعمارية الغازية في العراق، وكان هذا الموقف التلقائي أو العفوي تعبيرًا عن إرادة إسلامية شعبية حقيقية ترفض التعاون مع أعداء الإسلام والمسلمين.

وكان من الخطوات الجيدة أن تقوم شركات جديدة بتقديم بدائل

لبعض المنتوجات التي يقاطعها العرب والمسلمون، فأنتجت شركات إيرانية، بدلاً عن الكوكاكولا والبيبسي، مشروب "زمزم كولا" الذي لقي رواجًا كبيرًا في منطقة الخليج، ومن المتوقع أن يمتد إلى الشام وشمال أفريقيا، وقيل: إن رجل أعمال عربيًا يعيش في فرنسا أخذ ينتج مشروبًا آخر سماه "مكة كولا"...

وأعتقد أن إنتاج البدائل المحلية - عربيًا وإسلاميًا - هو الخطوة الأكثر خطورة على المستعمرين الطغاة؛ لأنه يحرمهم أصلاً من تصدير منتجاتهم إلينا، والأهم من ذلك أنه يجعلنا نستغني عنهم، وخاصة في السلع الاستراتيجية التي يصعب الاستغناء عنها، ونأخذ مثالاً على ذلك: القمح، الذي هو أساس رغيف الخبز، الذي لا يستغني عنه بيت أو فرد، حين تحتاج إلى ما يقرب من نصف الكمية المستهلكة مثلاً، أي نحو ٥٠٪، فإنك مضطر أن تسترضي الجهات المصدرة كي تسمح لك بشراء ما تريد، وإذا لم تقم باسترضائها، فستمنع عنك الإمداد، مما يعرضك لثورة الجياع التي تزلزل الأرض وتقلب الأوضاع، وهو ما يضطر بعض الحكومات العربية والإسلامية إلى التفريط في قدر كبير من سيادتها، والموافقة على قرارات لا ترضى بها وتتعارض مع سيادتها وإرادتها واستقلالها.. وهنا يكون إنتاج "القمح" في البلاد العربية الإسلامية "فرض عين"، وليس مجرد سلاح سياسي أو اقتصادي يستخدم عند الضرورة.

لقد نشرت بعض الصحف أن أمريكا الاستعمارية تراقب التحركات المصرية من أجل عقد صفقات استيراد قمح، وتسعى لإفشال هذه

الصفقات مع الدول الأخرى (خاصة في آسيا)، حتى ترتهن الإرادة المصرية للسيد الأمريكي، ولا ريب أن هذا "السيد" الاستعماري يعرف الضرورة التي تعيشها مصر من أجل توفير الرغيف لثمانين مليونًا من المصريين، فيضغط على هذا الجرح كي يصرخ المصريون وينفذوا إرادته.

والمفارقة في الأمر أن العرب والمسلمين، ومعظمهم يستورد القمح، يملكون إمكانية هائلة لإنتاج ما يحتاجون، بل ما يزيد على حاجتهم للتصدير، ويروى أن بعض الدول العربية استطاعت في أوائل زمن الطفرة البترولية أن تحقق فائضًا من إنتاج القمح، صدرته وأهدت بعضه إلى شقيقاتها العربيات، وهنا تدخل "السيد" الأمريكي ليقنع الوزير المختص في الدولة العربية المعنية بتخفيض الإنتاج أو عدم إنتاج القمح أصلاً، وحجته في ذلك هي قدرة "السيد الأمريكي" على توريد القمح بنصف ثمن إنتاجه في الدول العربية المعنية، ولكن الوزير المختص رفض منطق صاحبنا تمامًا. ولم تنته القصة عند هذا الحد، ولكن خاتمتها جاءت على شكل خروج الوزير المختص في تعديل وزاري في غير أوانه، وعادت الدولة العربية المعنية لاستيراد القمح من جديد!!

في مصر يصرون على زراعة الفراولة والكنتالوب والبطيخ بدلاً من القمح، وحجتهم في هذا السياق داحضة؛ لأنهم يزعمون أن المحاصيل البديلة تحقق عائدًا من العملة الصعبة تحتاج إليه البلاد، وتستطيع من

خلاله أن تستورد ما تريد من كميات القمح! وقد قرأ الناس وسمعوا عن الوفود المصرية التي ذهبت إلى أوكرانيا والصين وباكستان وأستراليا، وعادت سوداء الوجه بسبب الردود الخشنة من هذه الدول وغيرها، حين أصرت على التوريد مقابل الدفع الفوري (كاش)، وعدم القبول بمحصول أو محاصيل في مقابل القمح!

العاقل من يمتلك عناصر القوة، أيًا كانت، ولا يسلم ذقنه لأعدائه وأعداء دينه وأعداء المسلمين؛ حتى لا يتحكموا فيه ويمارسوا إذلالهم له، ولدى شعوبنا العربية من الكفاءات والإمكانات ما يجعلنا في غنى - بإذن الله - عن عدونا الهمجي اللدود.

المقاطعة ليست اختراعًا عربيًا أو إسلاميًا، ولكنها اختراع معسكر الشر. قريش في الجاهلية قاطعت نبي الإسلام ومن معه من الصحابة في شعب أبي طالب، حتى تفتنهم عن دينهم، وتفض المسلمين من حول رسولهم (عليه الصلاة والسلام). المستعمرون القدامى والجدد فرضوا الحصار على العرب والمسلمين الذين يتمسكون بالحقوق العربية والإسلامية أو يؤيدونها، وقد رأينا الحكومة الأمريكية والمؤسسات الأمريكية تفصل من لا يؤيد السياسة الاستعمارية الأمريكية من وظيفته، وتقاطعه إعلاميًا، وتفرض عليه حصارًا شاملاً، حتى يغير موقفه ويعتذر عنه، ثم وصل الأمر إلى نجوم السينما الذين استنكروا الحملة الاستعمارية الإجرامية ضد شعب العراق، فقد فرضت عليهم

"هوليود" الحصار والمقاطعة (عدم التشغيل)، حتى لو كانوا من أبرز النجوم والكوادر الفنية.

إن المقاطعة سلاح مشروع، خاصة حين تكون مظلومًا وصاحب حق، وهي عنصر قوة لا يقل أهمية عن عنصر الدمار الشامل؛ لأنه يرتبط بالحياة اليومية لأفراد المستعمرين الغزاة وأعوانهم في الدول الأخرى... والمقاطعة بعد ذلك سلاح تلقائي وعفوي، لا تستطيع الدول العظمى أن تتحكم فيه؛ لأنه صادر عن الشعوب ونابع منها، وهي التي تقوده وتنفذه، وتستطيع من خلاله أن تؤلم القوى الاستعمارية الظالمة، وتشعرها أن المقاومة مستمرة؛ حتى تستعيد الشعوب عافيتها، وتمتلك أسلحة الردع الشاملة، وتضع الأمور في نصابها، ويصبح الأمر كما صورته فطرة شاعر قديم رد على من يهدده بمنطق القوة التي تردع القوة:

جاء شقيق عارضًا رمحهُ

إن بني عمك فيهم رماحُ!!



"..وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له.."

أراني مضطرًا مرة أخرى للاستشهاد بكوريا الشمالية في مجال الحديث عن القوى التي لابد منها، واستخدام عناصرها المختلفة بكل "قوة" ممكنة. فقد استطاعت هذه الدولة الفقيرة أن تؤمن حياة مواطنيها وسط بحر من الدول الكبرى القوية عسكريًا واقتصاديًا: الصين، روسيا، اليابان، أمريكا (من خلال كوريا الجنوبية)، وأن تقنع الجميع، في محيطها أو بعيدًا عنها، بأنها جادة في استخدام القوة للدفاع عن نفسها وعن وجودها.

مع أن دولاً عربية وإسلامية تملك أسلحة تقليدية بكميات ضخمة يمكن أن تعبر عن نوع من القوة الرادعة التي تكلف العدو خسائر كبيرة، للأسف الشديد لا تقدر على استخدام السلاح ضد الأعداء لأسباب شتى. منها أن هذا السلاح يبدو مجرد سلاح للتشريفات، يظهر في الاستعراضات التي ترتبط بالاحتفالات الوطنية أو القومية أو الحكومية، ومنها أن هذا السلاح يبدو أكثر التصاقًا بالمخازن التي تحفظه وتغلق عليه، حتى لو أكله الصدأ والتراب، ومن ثم فهو بعيد عن الأيدي التي تستخدمه وتتدرب على استعماله بمهارة وجدارة، ومنها - وهو الأخطر - أنه قد يتوجه إلى صدور الشعب الذي يملكه ويدفع ثمن صيانته؛ حفاظًا على كراسي الحكومة القائمة قبل الحفاظ على حدود الوطن وأمن مواطنيه!!

وإذا عرفنا أن العدو - يهوديًا كان أو صليبيًا - يعلم هذه الحقيقة جيدًا ويتأكد منها، وأن رصاصة واحدة لن تطلق في اتجاهه، فهو من ثم لا يستجيب لمنطق السلام، ولا منطق القانون الدولي، ولا شفاعات الوسطاء الأجانب، كي يسلم بالحقوق العربية والإسلامية، فلا شيء هناك يزعجه أو يعكر مزاجه، بل إنه يفرض المطالب التي تروقه بوقاحة؛ ليستلذ برؤية العرب والمسلمين وهم يهرعون إلى تنفيذها والاستجابة إليها.

وتأمل مثلاً تلك الأوامر التي صدرت إلى دمشق ونفذتها على الفور دون أدنى اعتراض أو تلكؤ. المفارقة القاتلة أنها لم تكن أوامر سرية، بل كانت علنًا وعلى رؤوس الأشهاد، أذاعها السيد "كولن باول" - وزير الخارجية الأمريكي - في مؤتمراته الصحفية، واضطرت المنظمات الفلسطينية التي يسميها "باول" إرهابية أن تحفظ ماء الوجه لدمشق، فتعلن أنها - من تلقاء نفسها - تغلق مكاتبها السياسية هناك! وهو ما كان يريده "باول"، ويريده العدو اليهودي الغاصب. كما قبلت دمشق قرار مجلس الأمن الذي فرضته أمريكا لإضفاء الشرعية الدولية على احتلال العراق ونهب ثرواته وتغيير دينه!

مؤكد أن الأعداء واثقون أن القوة العسكرية العربية والإسلامية لن توجه أبدًا إلى صدورهم، ولكنها ستتجه إلى صدور الشعوب العربية والإسلامية عندما تتململ من الظلم والاضطهاد والاحتلال.. ومن ثم، فإن الحديث عن عنصر "الإرادة" - أقصد إرادة استخدام القوة ضد

الأعداء الغزاة الطامعين - يبدو ضربًا من الخيال، ولكن الأمر في غير هذه الحال يمكن أن يجعل "إرادة استخدام القوة" - مهما كانت هذه القوى متواضعة - من أقوى عناصر القوة وأكبرها تأثيرًا في سياق الصراع مع الغزاة والطامعين.

"إرادة استخدام القوة" لا تتحقق إلا برغبة "جمعية" تعبر عن إرادة الشعب، أو إرادة الأمة، وهذه الرغبة لا تظهر إلى الوجود إلا داخل نظام أو نظم تعمل في ظل التسامح والشورى واحترام الكرامة الإنسانية للمواطنين، ولأن السياق في معظم البلاد العربية والإسلامية يؤكد عكس ذلك تمامًا، ويكرس الكراهية والاستبداد وقهر المواطنين، فإن "إرادة استخدام القوة" تبدو مسألة مستحيلة تمامًا، حيث يتولى "القائد الضرورة" - الذي يفقه كل شيء بدءًا من الاستراتيجية الدولية حتى تعبئة البلح والتمور - حَسْم الأمور دائمًا، فهو الذي يعرف متى تستخدم القوة، ويعلم متى تستخدم المفاوضات، وعلى جميع المواطنين الاطمئنان والنوم بهدوء، فسوف تتحقق المعجزة عاجلاً أو آجلاً، وإن كانت هذه المعجزة غالبًا تتمثل في صنع الهزائم والهوان والتخلف المقيت الذي تكون أبرز ملامحه الفساد الفاجر والظلم الاجتماعي البشع.

خذ مثلاً ما صنعه الرئيس الغائب "صدام حسين" التكريتي، حين احتكر لنفسه الرأي والفكر والقرار والقيادة والتخطيط.. ثم تأمل النتيجة الصاعقة الماحقة في مواجهته للشيطان الأكبر. لقد باعه

أقرب من حوله، حين حانت ساعة الجد، فضاع وضيَّع، وعندما يضج الناس، ويجأرون، ويذكرون من يعنيهم الأمر بأن "الأمر شورى". وأن الديمقراطية عنصر القوة الأساسي قبل السلاح، تسمع من يقول لك: نحن في أزهى عصور الديمقراطية! وهل بعد ذلك ديمقراطية؟ مجالس نواب، ومجالس شعب، ومجالس شورى، ومجالس مبعوثان، ماذا تريدون بعد كل هذا؟ ألم يكن عند صدام مجلس شعب يرفض قرارات الأمم المتحدة ويترك للقيادة الملهمة اتخاذ ما تراه هي مما غاب عن نظر النواب الأشاوس؟ يعني أربع مئة مخلوق لا تساوي آراؤهم وخبراتهم رأي "القائد الضرورة" و"الزعيم الملهم".

والتاريخ يذكرنا بالنائب الذي رقص على أنغام هزيمة ١٩٦٧م في مجلس الأمة المصري؛ لأن الزعيم الملهم لم يسقط، حتى لو سقطت مصر كلها تحت سنابك خيل اليهود! الشورى بالمفهوم الإسلامي، أو الديمقراطية كما يسميها الغربيون، أو المشاركة الحقيقية في صناعة مصير البلاد كما يفهمها بسطاء الناس، ليست ترفًا، وليست شيئًا لا يستحقه العرب والمسلمون، ولكنها صارت ضرورة؛ حتى يمكنهم مواجهة المستقبل الغامض الذي يبدو قاسيًا ومؤلمًا أكثر من قسوة الواقع وألمه. وانظروا كيف يتعامل اليهود مع بعضهم البعض، وكيف يقنعون الدنيا أنهم لن يوقعوا اتفاقًا ولن ينفذوا قرارًا إلا بعد تشكيل حكومة من هذا التيار أو ذاك، وينتظر العالم نتائج انتخاباتهم؛ ليرتب عليها تحركاته وأفكاره.. فهل للعرب والمسلمين مثل تلك الوضعية؟ الإجابة معروفة..

نقل عن مجرم الحرب اليهودي "أفرايم سينيه" - الوزير السابق (من حزب العمل) - أنه قال: "علينا أن نصلي جميعًا كي يبقى العالم العربي خاضعًا لأنظمته"، وقال: "إن غياب الديمقراطية عن العالم العربي عطل الإبداع عند العرب، ففي الوقت الذي نطور فيه إمكاناتنا في مختلف المجالات، فإن هذه الأمور لا تشكل أولوية بالنسبة للعرب، مع إمكاناتهم المادية الهائلة. لذا فإن أشد الكوابيس سوداوية ستبرز أمام الكيان الصهيوني لو حدث إبداع حقيقي في العالم العربي!

صدق سينيه! فهي كلمة حق قالها عدو، فالإبداع الحقيقي في العالم العربي هو التفنن في كيفية إذلال المواطن العربي، وتقييده، وقتل روحه، والقضاء على آخر ذرة انتماء لديه؛ لأن ذلك يؤمن بقاء الحكومات على قلبه إلى الأبد، فتتلاشى إرادته، ويتحطم أمله، ويغرق في بحار الهزيمة واليأس، وصدق الله إذ يقول: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ (الرعد: ١١)، **وإرادة السوء بما كسبته أيديهم، فلا ظلم ولا جور، ولكنه العدل المطلق!**



أمليت لها وهي ظالمة

منطق القوة مخيف ومرعب، ضعاف الإيمان ينبطحون أمامه ويفرون منه، ويرفعون الرايات البيضاء؛ حرصًا على النجاة وإيثارًا للسلامة. ولكن من يحرصون على النجاة لا يهنؤون بها، ومن يؤثرون السلامة لا ينالونها؛ لأن منطق القوة لا يعترف بالمسالمة أو الموادعة. إنه يعترف بشيء واحد فقط، هو تحقيق المصالح الخاصة على حساب كل القيم والمثل والمواصفات، حتى لو رفع الذين انبطحوا أمامه الرايات البيضاء، وأعلنوا الاستسلام والعبودية.

يحدث هذا على المستوى الفردي والمستوى الجمعي. الشخص الذي يستسلم لمنطق الأقوياء الظالمين ويظن أنه نجا و"نفذ بجلده"، هو مخطئ بكل المقاييس؛ لأن الاستسلام لمنطق الأقوياء الظالمين، لن يحقق له النجاة ولا السلامة، وكذلك الشعوب التي ترفع الرايات البيضاء أمام الأقوياء الأشرار لن يتحقق لها الأمن ولا الرضا. فالاستسلام يغري الظالمين الطغاة، ويدفعهم إلى المزيد من ممارسات القهر والإذلال، وقد تداول المصريون منذ زمن بعيد المثل القائل: "يا فرعون: من فرعنك؟ قال: لم أجد أحدًا يردني!". هذا الأحد قد يكون ضحية فرعون - على المستوى الشخصي أو المستوى الجمعي - ولكنه يفتدي نفسه والآخرين، ويمنع الظلم، ويقضي على منطق القوة لصالح منطق الحق أو العدل.

ثم إن القوى التي تظن نفسها بمنأى عن الحساب والعقاب، وتدفعها حماقة القوة إلى ممارسة الظلم والطغيان، ليست بمنأى عن العقوبة الإلهية التي تترصد الخارجين على منطق الحق والعدل. وفي القرآن الكريم عديد من الآيات والسور التي تحفل بالنماذج والأمثلة التي تكشف مصير الظالمين الطغاة، الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم، **وحقت عليهم اللعنة وسوء العقاب، ولنتأمل قوله تعالى:** ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ (الحج: ٤٨). **ففي هذه الآية الكريمة تشير كلمة "القرية" إلى عموم البلاد أو الدول التي تمارس الظلم والطغيان من خلال القوة، فيمد لها الحق سبحانه حبل الاختبار، ويمهلها حتى تحين اللحظة الفاصلة التي يقع فيها العقاب المؤلم "ثم أخذتها"، وتأمل حرف العطف "ثم" الذي يفيد الترتيب على التراخي كما يقول النحاة والبلاغيون، ويمثل في حقيقة الأمر نهاية المطاف، والنتيجة المنتظرة "ثم أخذتها"، و"الأخذ" دلالة معبرة تعبيرًا دقيقًا عن هيمنة القوة الإلهية المطلقة على مصائر العباد والخلق، مهما بلغت قوة هؤلاء وجبروتهم "إن أخذه أليم شديد".**

و"الأخذ" له مقابلات عديدة يستطيع قارئ القرآن الكريم أن يعثر عليها ويراها بصيغ أخرى، منها ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَـٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَـٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا﴾ **(الطلاق: ٨)، والحساب هنا يقابل الأخذ، وأيضًا العذاب يعد مقابلاً آخر له. ولا ريب أن ختام الآية السابقة بقوله تعالى: "ثم إليَّ**

المصير" يؤكد طلاقة الهيمنة الإلهية برجوع الخلق إلى الخالق في نهاية المطاف، فلا أحد مهما بلغت قوته يمكنه الفرار من هذه الهيمنة أو الخروج من إطارها، لذا "فالأخذ" آت لا محالة، والعقاب نازل بلا ريب؛ لأن الظلم جريمة لا تسقط بالتقادم.

مصائر القرى الظالمة لنفسها أو لغيرها، تنتهي إلى "الأخذ" الإلهي الذي لا يفلتها ولا يضيعها، وكثيرًا ما يأتي "الأخذ" في القرآن الكريم لهذه القرى الظالمة بمعنى الإهلاك والعذاب والرجز والبأس والضر والخواء، وهو ما يفيد أن جريمة "القرية الظالمة" لا تغتفر، ولا تمضي دون عقاب.

بعض ضعاف الإيمان يتصورون أن "القرى الظالمة"، وهي أيضًا "الدول الظالمة"، توجب على الناس أن يستسلموا ويرفعوا الرايات البيضاء، وإلا فإنهم هالكون كما سبقت الإشارة، وهذا تصور فاسد من ناحيتين.

الناحية الأولى: نسيان الواجب الذي يفرضه الإسلام، وهو المقاومة من خلال آيات كثيرة تحض على الجهاد والإعداد له، لدرجة أن بعض الفقهاء **جعلوه الركن السادس من أركان الإسلام، ﴿وَجَـٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ (الحج: ٧٨)، ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ (الأنفال: ٦٠).**

والناحية الأخرى: نسيان القدرة الإلهية في هيمنتها ووعيدها للظالمين أفرادًا أو قرى (دولاً)، وهو الوعيد الذي يتمثل في الأخذ بالهلاك والدمار، كما سبق القول.

إن التقصير في أداء الواجب دون مسوغ حقيقي، وقطع الصلة بالخالق القوي سبحانه، ظلم للنفس وللأمة يستوجب أيضًا العقاب، وما أكثر الإشارات التي تضمنها القرآن الكريم حول القاعدين عن الجهاد والذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم، فصاروا قصعة الأمم، ومعرة الدول!

قد يقال في معرض المجادلة والرد على هذا الكلام: إن الاستسلام أحيانًا يكون هو عين الصواب، وهو الطريق الأوحد إلى النجاة، وهذا كلام غير دقيق. صحيح أن فرنسا استسلمت في الحرب الثانية، وكذا اليابان، ثم ألمانيا وغيرها من الدول الأوربية التي انهزمت أمام جحافل الغزاة. ولكن هناك فرقًا بين استسلام بمعنى "الاستقالة" من الحياة، واستسلام فرضته القوى المتجبرة بعد سقوط آخر معاقل المقاومة. الأول استسلام اليأس والقنوط من رحمة الله، والآخر هو استسلام اللحظة المفروض، ولكنه يولد المقاومة من جديد. فرنسا استسلمت لينهض ديجول من الشاطئ الآخر للأطلنطي، ويعود ليدخل على رأس المقاومة منتصرًا إلى باريس، واليابان استسلمت بعد سحقها بالقنابل الذرية لتنهض مجددًا من خلال "الين"، وتقهر اقتصاديًا وعلميًا مَنْ سحقوها، وكذلك ألمانيا .. أما المنبطحون، فسيأخذهم ربهم، مع ظالميهم أخذ عزيز مقتدر!



وكذلك نولي بعض الظالمين بعضًا!

القرآن الكريم كنز من المعاني والدلالات التي تفسر كثيرًا من المواقف والظروف التي يمر بها الإنسان عامة والمسلم خاصة، وعندما تتداخل الأمور وتظلم الرؤية ويعشى البصر، فإن العودة إلى القرآن الكريم تصبح واجبًا وضرورة؛ لاجتلاء الحقيقة وتفسير الأحداث.

برع الجن في غواية الإنس عن طريق الشهوة لمخالفة المنهج، والسير في طريق الضلال، والنكوص على الأعقاب أيضًا، مما يؤدي في كل الأحوال إلى الخسران والضياع، ويستلذ الجن رؤية الآدميين ينهارون وينكسرون في الدنيا، ويعذبون ويحترقون في الآخرة، فضلاً عن استمتاعهم بلذة الاتباع والمسايرة والطاعة دون إعمال العقل والفكر.

أما الآدميون فقد وجدوا لذتهم بالانحراف تعادل لذة الجن. كلاهما استمتع بالآخر: الدال على الانحراف، والمنحرف، ومثلما استمتع العصاة المنحرفون بعضهم ببعض، فإن ولايتهم (بعض الظالمين) بعضًا، أو على بعض هي النتيجة المنطقية، سواءً كانوا من الجن أو الإنس معًا أو على حدة. الظالم يتولى على ظالم آخر، ويسوقه في مهاوي القهر والذل والعار.

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا

قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾. (الأنعام: ١٢٨، ١٢٩).

الظلم يبدأ من ظلم الإنسان لنفسه حتى ينتهي إلى الآخرين. والظلم في وجه من وجوهه انحراف عن المنهج واتباع الهوى والجور على حقوق الآخرين. وقد تنبه القدماء، والعرب خاصة، إلى القانون الصحيح دائمًا في بناء الحضارات، وهو "العدل"... وعرفوا أن العدل أساس الملك" والملك بمعنى الحكم ومعنى الحضارة ومعنى القوة ومعنى السلام. وحين يسقط العدل يختفي الأمن ويسود الضعف وتذهب الحضارة ويضيع الحكم.. إذًا العدل ضد الظلم، وحين يتفشى الظلم ويختفي العدل، فتوقع كل شيء، لن يجدي القمع ولا السلاح ولا الخداع ولا المال؛ لأن البنيان ينهار ويتهاوى ويسقط، فلا بناء دون أساس متين وقوي...

وهذا الأساس المتين القوي يتمثل في شيء واحد هو "العدل"، وإذا لم يكن المرء عادلاً مع نفسه، في طعامه وشرابه وكلامه وسلوكه وعلاقاته وأحكامه، فهو ظالم لنفسه ولغيره، وهو من دق أول مسمار في نعشه الذي سيكون ختام حياة كريهة ومنهارة وبائسة، حتى لو بدت للناظرين غير ذلك.

وما ينطبق على الأفراد ينطبق على المجتمعات والدول والأمم، فإذا غاب "العدل" هنا، فإن النتيجة المنطقية هي الانحلال والانهيار والمعاناة والخراب؛ لأن الظلم ينتج ولاية الظالمين على بعضهم، وهذه الولاية لا تنتج إبداعًا ولا حضارة ولا استقرارًا، فالظالمون مشغولون ببعضهم،

قهرًا وإذلالاً وتحطيمًا لكل ما هو طيب وجميل ونبيل.. لقد تشوقت الأمم إلى العدل حتى في الظلم، فقالوا: "المساواة في الظلم عدل"، ولعل هذا يفسر وجود العدل في بعض الدول التي تتهم بالظلم الناتج عن الحكم الشمولي، مثل الصين، وكوريا الشمالية، وإسبانيا (فرانكو)، فقد حققت كل منهما قدرًا من العدل على أساس التسوية بين المواطنين في السراء والضراء، وانطلقت لبناء عناصر حضارية لا يستهان بها، وقد قادت بعضها إلى العدل، وإقامة الديمقراطية على أسس الحرية والكرامة وحقوق الإنسان، كما حدث في إسبانيا بعد وفاة (فرانكو).

والوضع في أمتنا العربية على مستوى الأفراد والعائلات والمجتمعات والشعوب والدول، لا يبشر بخير بالموازين البشرية؛ لأنه موبوء بالظلم وولاية الظالمين على بعض. فكل ظالم يتولى ظالمًا أضعف منه، واستكان الجميع لولاية الظلم، وارتضوها بالسكوت (السكوت علامة الرضا!) وأحيانًا بالتأييد والتشجيع والدفاع عن الظالمين!

لقد وضع الإسلام ما يمكن أن نسميه عناصر قيام الحياة وبنائها، على المستوى الفردي، والمستوى الجمعي، ولنقرأ قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٩٠).

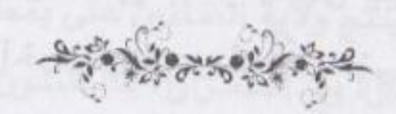
أول العناصر في الآية الكريمة هو "العدل" يليه الإحسان والعطاء والطهارة والمعروف، وآخرها يتضمن أيضًا معنى العدل. إذًا عناصر

قيام الحياة أو الملك، كما سماها القدماء والعرب، تبدأ بالعدل وتنتهي به.

فلماذا أمة الإسلام دون غيرها، يغيب عنها العدل، ويتولاها الظالمون، أو يتولى الظالمون فيها بعضهم بعضًا؟ الإجابة بسيطة، وتتمثل في توافق الناس (وهو توافق غريب!) على الرضا بالظلم، صراحة أو ضمنًا (بالسكوت)!.

ولأن الظلم شاع على أكثر من مستوى، فقد استطاع الظالمون من الصليبين الاستعماريين، والصهاينة النازيين أن يتولوا الجميع، ويلهبوهم على ظهورهم بالسياط الدامية، لدرجة فقدت فيها الأمة القدرة على المقاومة الرسمية أو الشعبية، وصارت تنتظر كلمة من هذا المسؤول الصليبي أو ذاك المسؤول الصهيوني، ليخفف عنها العذاب والهوان والإذلال!

لو شاع العدل بدلاً من الظلم في سلوك الأفراد والمجتمعات والدول، لكان للأمة شأن آخر، غير الشأن الراهن، ولاستطاعت - على الأقل - أن تشبه كوريا الشمالية من بعض الوجوه.. ولكن الظلم - والحديث عنه يطول - هو الذي يشيع ويتمدد، ولولا بعض الصالحين الطيبين الذين يسعون من أجل الحرية والعدل والكرامة لكانت النتائج أشد وأقسى، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.



وذكرهم بأيام الله

ترد في القرآن الكريم مادة "الأيام" و"اليوم" و"يومئذ" بغزارة، وتحمل من المعاني والدلالات ما يتجاوز المفهوم الزمني إلى مفاهيم أخرى يحددها السياق القرآني، بيد أن كثرة ورود المادة تشي بدلالة عامة ينبغي أن ينتبه إليها الإنسان والمسلم بخاصة، وهي الوجود الإنساني المؤقت الذي يهيئ لوجود دائم، مما يعني أن تتسع المدارك للفهم الصحيح للمرحلة العابرة في حياة الإنسان، هذا الفهم الذي يجب أن يجعل العلاقة بين الخالق والمخلوق أقوى من أية علاقة أخرى، وإذا كان المخلوق موصولاً بالخالق، فإن الأطماع الصغيرة والشهوات الزائلة والمظاهر البراقة لا مجال لها في سياق العلاقة مع الله، مما يعني أن يتراجع الخوف والطمع والرجاء إلا في الله، وفيما يأمر به ويحث عليه.

أعطى الحق سبحانه بني إسرائيل في الماضي كثيرًا من النعم والخيرات والتميزات، ولكنهم تناسوا ذلك، وانحدروا إلى مهاوي الضلال والكفر وعبادة العجل وقتل الأنبياء وسماع الكذب وأكل السحت، واستحلوا مال الأغيار، وسعوا - ويسعون - في الأرض فسادًا، وتحدث القرآن الكريم في مواضع كثيرة عن جحودهم وكفرهم بالنعم الربانية، وأيضًا عن عقاب الله ووعيده لهم، وكان الحق سبحانه

ينبه سيدنا موسى (عليه السلام) إلى ما يفعله قومه، آملاً أن ينصاعوا إلى الصواب ويتذكروا نعم الله عليهم، ولكنهم للأسف ما استجابوا وما تذكروا وما انصاعوا؛ فحق عليهم العذاب في الدنيا والآخرة.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝ وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (إبراهيم: ٥-٨).

تشدنا في الآيات الكريم جملة: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾، ومعنى الأيام هنا - كما يقول بعض المفسرين - نعم الله وآلاؤه، ولكن الدلالة تبدو أكثر اتساعًا، مع أن الآية التالية للجملة تشير إلى ما قاله موسى (عليه السلام) لقومه: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ...﴾، فتذكر النعم والآلاء، لا يلغي تذكر ما جرى لبني إسرائيل ولغيرهم من الأقوام. فأيام الله تشمل - إلى جانب النعم والآلاء العينية الملموسة - نعمًا وآلاء أخرى، هي دروس التاريخ ومرور الزمان، ففيها الاعتبار لمن يعتبر، وفيها الذكر لمن يتذكر. وقد نسي بنو إسرائيل نعمة الله إذ أنجاهم من آل فرعون بعد أن عذبوهم وذبحوا أبناءهم واستحيوا نساءهم. وها هو موسى يخبرهم أن الله غني عنهم وعن أمثالهم إذا كفروا بالله، كفر توحيد أو كفر نعمة. من هنا؛ تأتي أهمية الجملة الطلبية ﴿وَذَكِّرْهُم

﴿بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾، ليس لبني إسرائيل وحدهم، ولكن للبشرية جمعاء، وفي المقدمة منها: المسلمون. والعبرة هنا ليست بخصوص سبب النزول، ولكن بعموم الدلالة؛ فالمسلمون قد أعطاهم ربهم نعمًا كثيرة لم يشكروه عليها، ولم يتذكروها، ولم يصبروا على ابتلائها، فنسوا ربهم، فأنساهم أنفسهم، وانغمسوا في الفتنة طمعًا وأنانية وفرقة وصراعًا فيما بينهم، فحقت عليهم النتيجة الطبيعية؛ لأنهم حين نسوا "أيام الله" المادية والمعنوية، صاروا مثل غيرهم من الأمم الأخرى، ولأن المفاضلة الآن بين فريق منظم قوي متماسك (يعني ديمقراطي) يخاف بعضه على بعض، وبين فريق ضعيف متهالك ممزق يكره بعضه بعضًا، فالانتصار المتوقع والمنتظر للفريق الأول بكل تأكيد، حتى لو لم يتذكر "أيام الله"... لأنه يمايز عن الفريق الآخر في الأخذ بالأسباب المادية التي تؤهلة للتفوق والنصر. إن الفريقين عجينة واحدة، أو طينة واحدة، أو معدن واحد. ولكن الاختلاف أن العجينة الأولى جيدة، والأخرى رديئة... والأفضلية للأولى بالطبع.

لقد أعطى الله المسلمين كثيرًا من عناصر القوة المادية، فضلاً عن القوة الروحية المتمثلة بالإسلام، فأهملوا هذه العناصر جميعًا، وتركوها نهبًا للصوص والغرباء والأفاقين، وتفرغوا لمقاتلة بعضهم والتآمر على بعضهم وإذلال بعضهم. ثرواتهم القومية ينزحها الطامعون، وقدراتهم المالية تذهب إلى الأفاقين والناهبين، والإسلام الذي هو طاقاتهم الروحية العظيمة يحاربونه بأيديهم، ويطاردونه في بلادهم،

ويستلسمون لأعدائه وأعداء الله في تطويعه وتغييره وفقًا لإرادة هؤلاء الأعداء ومشيئتهم.

﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ جملة يجب أن تتردد في كل حين، وفي كل صدر من الصدور المؤمنة، وخاصة في أوقات المحن، لتعيد التوازن إلى العقول والنفوس التي ران عليها اليأس، وخيم فوقها الإحباط، وأصماها القهر... ولا أجد وقتًا مناسبًا، غير هذه المرحلة التي تعيشها الأمة، لتردد ليلاً ونهارًا الجملة القرآنية الكريمة "وذكرهم بأيام الله"، لتعود الصلة المقطوعة مع الخالق (ﷻ)، ويتوهج الأمل من جديد في الصبر على الابتلاء بالنعمة أو النقمة، وليكون الشكر من أوجب الواجبات التي ينبغي التعبير بها وعنها عن ذكر أيام الله. ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾، تأمل استخدام صيغة المبالغة في الصفتين "صبار" - بمعنى طويل أمد الصبر، "شكور" كثير الشكر ودائمه.

كان الفراعنة قديمًا يطاردون بني إسرائيل تعذيبًا وقتلاً وسبيًا، فأنجاهم الله، ولكنهم لم يتذكروا نعمه فحقت عليهم لعنة العذاب. وها هم المسلمون يمنحهم ربهم نعمة الحياة والوجود وعناصر البقاء والقوة، فيتناسون "أيام الله" و"أعداء الله" ويفرغ بعضهم لإذلال بعض، فيسلط عليهم من يسومهم سوء العذاب ويستذلهم على مرأى ومسمع من الدنيا كلها!! ترى، هل هم في حاجة إلى الجملة القرآنية: وذكرهم بأيام الله؟ نعم. المخلصون منهم في حاجة إليها لينجيهم ربهم من عذاب الفراعنة الصليبيين والصهاينة!

فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم..

يقوم المنهج الإسلامي في بناء الأمة على الطهارة والشفافية، وهما مصطلحان يدخلان في صميم التقوى التي حض عليها الإسلام في أكثر من مئة وعشرين موضعاً في القرآن الكريم، وقد تعددت تعريفات التقوى، ولكنها تتفق على نقاء العلاقة مع الخالق (تعالى) نتيجة لنقاء العلاقة مع الخلق، ولعل سر إخفاق الأمة في مشارق الأرض ومغاربها يرجع إلى طبيعة الخلل الذي أحدثه الناس في علاقاتهم بالاستبداد والجشع والقسوة، ونسيان التقوى أو الاتصال بالله (جل وعلا). وقد تأملت جزء الآية الكريمة التي يحملها عنوان هذه المقال، بمناسبة المحادثات التي يجريها زعماء الفصائل الفلسطينية في القاهرة من أجل الوحدة الوطنية والاتفاق على الثوابت التي يلتزم بها الجميع. نزلت الآية في غزوة بدر، حين تنازع المسلمون المجاهدون أحقية توزيع الفيء أو الغنائم، فنزلت سورة الأنفال بأكملها تعلم المسلمين كيف يتّحدون ويتضامنون ويواجهون المواقف الصعبة، التي تبدو فيها الدنيا أهم من الآخرة، سواءً في مجال المكاسب أو الخسائر ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال: ١)، **كانت هذه الآية الأولى التي بدأت بها سورة**

الأنفال، تعلم المسلمين أن تكون مرجعيتهم لخالقهم ورسوله (ﷺ)، فتحسم الخلافات، وتعالج الأمراض (أمراض النفوس من طمع وفرقة وحب للدنيا وبعد عن الدين). وقد استجاب المسلمون لربهم وسمعوا وأطاعوا فنصرهم ربهم، وأعزهم بعد ضعف، ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ۞ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ۞ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (الأنفال: ٨-١٠).

النصرة الإلهية تأتي وفقًا للالتزام بالطاعة وتحويل الإيمان إلى طاقة خلاقة من العمل والنشاط والإبداع، في ظل وحدة الجماعة، والالتقاء حول الأهداف الأساسية الثابتة، واعتماد الشورى مبدأ ومنهجًا "وشاورهم في الأمر" و"أمرهم شورى بينهم". تحققت النصرة الإلهية الموعودة حين وفَّى المسلمون بمتطلباتها عن رضًا واقتناع، ويوم خالفوا المنهج وساروا وراء أعراض الدنيا الزائلة، صدقت فيهم نبوءة البشير النذير (ﷺ)، فكانوا قصعة الأمم، وكانوا غثاءً كغثاء السيل، لا قيمة له ولا وجود، مع كثرة عَدده وعتاده، وهو ما نراه في أوضح صوره الآن، جارحًا وقاسيًا وقاتلاً..

ولاشك في أن الشعب الفلسطيني في حاجة إلى استعادة الدرس الإسلامي في حالتي النصرة والهوان، ليتجاوز آلامه ومتاعبه التي امتدت على مدى قرن من الزمان، بسبب الشحناء والبغضاء التي دبت بين زعمائه وجماعاته وعائلاته، إن العدو النازي اليهودي يلعب باقتدار

على وتر هذه المحنة التي يعيشها الفلسطينيون، ويستثمرها بذكاء عظيم، وقد آن لهؤلاء أن يقلبوا المعادلة ويوظفوا خلافاتهم لخدمة القضية، ويعترفوا أن التعددية تخدم ثوابت الشعب الفلسطيني، ولا تعصف بها، إذا اتفقوا عليها، ووضعوها نصب أعينهم.

لقد شاهد النازيون اليهود الشعب الفلسطيني يتوهج تحت الرماد، ويشتعل من جديد، ويذيقهم من الكأس التي طالما شرب منها وتجرع غصصها وسمومها. واعترف كتابه ومراكز أبحاثه بالخسائر الفادحة التي نزلت بالغزاة اليهود، وها هو "جيمي شليف" على سبيل المثال يكتب مؤخرًا في "معاريف" عن عامين من القتل سقط خلالهما سبع مئة قتيل يهودي، ويقول: "إن المآسي التي تحدث هنا تحولت إلى روتين. إن القلب ينفطر على القتلى وعلى الشعب الذي تبدلت حياته... إن الحرب ضد العنف الفلسطيني عبثية. نحن جميعًا على المستوى الوطني محشورون في "زقاق الموت".

وقد نقلت الأهرام في ٢٠٠٢/١/١٠م عن صحيفتي "يديعون أحرونوت" و"معاريف" صورة قاتمة للحياة الاجتماعية داخل الكيان الصهيوني بسبب الانتفاضة، وكان عنوان ما نقلته: صناديق القمامة... ملاذ لضحايا الأزمة الاقتصادية في (الكيان الصهيوني). وذكرت أرقامًا مخيفة عن الأزمة الاقتصادية الطاحنة التي أثرت على وجوه الحياة المختلفة هناك، حتى صار البحث عن الطعام في صناديق القمامة أمرًا مألوفًا لدى بعض السكان. وآلاف الجنود اليهود يفضلون التنازل عن إجازاتهم والبقاء في قواعدهم العسكرية لتناول الطعام

المجاني، وبعضهم يأخذون وجبات الطعام التي يوزعها الجيش عليهم ويذهبون بها إلى المنازل لإطعام ذويهم... إلخ.

لا مجال إذًا للتراجع عن الجهاد، ومقاومة الاستعمار النازي اليهودي بإرادة حديدية موحدة، ومن المؤسف أن تتواتر أخبار عن رغبة البعض في إنهاء الانتفاضة لصالح حزب العمل وزعيمه السيد "متسناع"، أملاً في الحصول على ٦٥٪ من الضفة الغربية ودولة هزيلة بلا سلاح ولا سيادة، وهذا أمر مؤسف حقًا إن كان صحيحًا، وهو لا يوحد الشعب الفلسطيني بل يمزقه شيعًا وطوائف، ويقدمه لقمة سائغة للعدو! يجب أن يكون الاتحاد والتوحد حول المقاومة ومن أجلها وفي سبيلها، ويؤدي كل طرف فلسطيني دوره الذي يقدر عليه تحت راية المقاومة، وعلى الجميع في فلسطين وخارجها، أن يتعلموا مما صنع اليهود الغزاة في فلسطين قبل أن يسرقوها ويعلنوا دولتهم الشريرة. يجب أن يقرأ الشعب الفلسطيني مذكرات القادة اليهود الأشرار، ليتعلم منها ويستفيد، وكلها ستقول لهم: إن المقاومة والتضحية هما الطريق الوحيد لإنقاذ الوطن وتخليصه من اللصوص الذين سرقوه!

يوم الأحد ٢٠٠٣/١/٥م، وبعد أن ظل اليهود الغزاة يقتلون الفلسطينيين المدنيين العزل بصورة شبه يومية على مدى ستة أسابيع كانت عملية تل أبيب ردعًا للعدو وتأديبًا له، حيث فقد ٢٣ يهوديًا غازيًا، وجرح له أكثر من مئة. هذه هي اللغة التي يفهمها والتي يستجيب لها ويعرف قيمتها. أما الكلام والمفاوضات والمناشدات والشجب والاستنكار فحسب.. فهي ليست من تقوى الله ولا إصلاح ذات البين!

وتلك الأيام نداولها بين الناس

في معمعة الانهيار وفقدان الوزن، تغم الرؤية، ويسود الإحباط، ويعم اليأس، ويفقد الناس الأمل في الغد. ولكن الوجدان المسلم المشبع بثقافة إسلامية حقيقية وناضجة، يتلمس الأمل في داخله وأعماقه قبل أن يتلمسه في الخارج ومواضعات الواقع. أمتنا المسلمة تذوق الهوان والذل على يد الحكومات الصليبية الاستعمارية وخدامها الصهاينة وبعض بنيها الضالين، والشعوب الإسلامية على امتداد العالم تعاني الأمرين من الظلم المحلي والظلم الدولي، ولا تستطيع ردًا ولا صدًا، حريتها مفقودة، وكرامتها ضائعة، وثروتها مبددة، وإماكاناتها مهدرة، وأموالها منهوبة.. وواقعها يقول بأفصح لسان: إنها - أي الأمة - بلا مستقبل!

السطحيون والبسطاء والذين لما يدخل الإيمان في قلوبهم، يعلنون عن تشاؤمهم، واستسلامهم السريع، ويرفعون الرايات البيضاء مقدمًا. إنهم يقيسون الأمور بالمقاييس الأرضية المادية البحتة، لا يرون شيئًا آخر خارجها أو بعيدًا عنها.

أما المؤمنون الحقيقيون والمسلمون الصادقون، فيرون المسألة من وجهها الآخر، ويراهنون على الصبر والمصابرة في إيمان وثقة بنصرة الله، فيتحقق الأمل، ويزول التشاؤم.

تأملت الآية الكريمة: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٠)، وجدت لفظة ﴿نُدَاوِلُهَا﴾ تربط الجملة التي وردت فيها بما قبلها وما بعدها، وتأتي في سياق اللحظة التي فقد فيها المسلمون زمام المبادرة وتعرضوا في أثنائها، وهم يقاتلون المشركين، إلى محنة زلزلت كيانهم، وأيأست ضعاف الإيمان منهم. لفظة "المداولة" ومشتقاتها تعني عنصر التغير والصرف أو التصريف والانتقال من مكان إلى مكان ومن حال إلى حال. وجاءت الإشارة إلى الأيام باسم الإشارة الذي يدل على البعد ومعه لام البعد، لتعطي دلالة على عمق القانون الإلهي الذي لا يتخلف في الزمان أو المكان (الأيام هنا تحمل معنى الزمان والمكان) بتغير الأحوال، وعدم بقائها على ما هي عليه، فمنذ عاد وثمود، والأقوام الذين بعث فيها أنبياء ورسل، مرورًا بالإغريق والرومان والفرس وغيرهم، والتاريخ يسجل عملية التداول أو المداولة من القوة إلى الضعف ومن الضعف إلى القوة، حتى المستوى الشخصي للإنسان تعتريه مراحل الضعف والقوة حتى يصير ترابًا. هل كان إطلاق لفظ "دولة" على المكان الذي يعيش فيه قوم ما أو شعب ما يحمل معنى التغير والتحول؟

في الآية الكريمة بيان للمؤمنين يهدف إلى تعزيتهم وتسليتهم يسبق الإشارة إلى تداول الأيام بين الناس، وتغيرها. فالحق سبحانه يقول في أول الآية: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ..﴾ (آل عمران: ١٤٠)،

وهو معنى يصب في خانة التذكير بأن القتال أو المواجهة مع العدو، لم تكن كلها خسائر في جانب المؤمنين وحدهم، ولكنها أيضًا أصابت الأعداء بخسائر مماثلة، ولاشك أن استخدام لفظة "قرح" فيه عمق الدلالة على قسوة الإصابة أو الخسارة التي ألمت بالمسلمين، وأيضًا الإصابة التي نزلت بالمشركين، وهذا البيان يعطي جرعة كبيرة من الاطمئنان والتثبيت لاستمرار المواجهة، وهو ما يوضحه البيان التالي **لقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾**، فهذا البيان الذي تشمله جملة **﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ...﴾ يؤكد أن القتال أو المواجهة مع العدو، ليست عبثية، وليست تعذيبًا أو قهرًا للمؤمنين، ولكنها عملية اختبار وابتلاء، لمعرفة من صدق إيمانه، وحسن إسلامه أولاً، ثم اتخاذ شهداء يكونون أحياءً عند ربهم يرزقون ثانيًا، فالمسألة في عملية التداول أو المداولة لها غاية وهدف، وليست خسارة أو انكسارًا، ولعل هذا يأتي تفسيرًا للآية الكريمة التي تسبق الآية التي بين أيدينا، وهي طلب الحق سبحانه من المؤمنين مفارقة الإحساس بالهوان والحزن "ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين". إن الإحساس بالهوان أو الحزن، مفارقة للعلو الذي هو خصيصة من خصائص المؤمنين وحدهم. العلو طريق الإيمان والشهادة، والهوان أو الحزن طريق آخر، يؤدي إلى رفع الرايات البيضاء!! والمؤمن الحق هو الذي يختار الطريق الأول: الإيمان والشهادة.**

قبل آية العلو، وآية القرح، وردت آية كريمة أخرى، حول الأجيال

السابقة وما جرى لها، وتطالبنا الآية بتأملها واستقرائها وأخذ العبرة منها، والنظر إلى عاقبة المكذبين، لتجنبها والبعد عنها، وهو ما أكدته آية المداولة بقوله تعالى: "والله لا يحب الظالمين"، والظالمون هنا هم المكذبون، هم البعيدون عن الإيمان والشهادة، وكأن الإيمان والشهادة طريق الحياة والمحبة الإلهية والخير الذي لا ينضب.

أمتنا التي تعيش الهوان والذل يكيل لها العدو بمكيالين، وتكيل هي لأبنائها بمكيالين، فهي مهزومة متخلفة مستعبدة، ولن تعود إلى طريق العزة والأمل إلا إذا فارقت المعايير المزدوجة، وسارت في طريق الإيمان والشهادة ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٠).



حكاية المدنيين!

يطرح الأشاوس والنشامى من رجال السلطة والكتاب الاستراتيجيين في صحافتنا العربية مسألة المدنيين وتعرضهم للعمليات العسكرية في فلسطين من منظور صليبي صهيوني، وفحوى هذا المنظور أن الكيان النازي اليهودي في فلسطين يضم مدنيين ينبغي عدم التعرض لهم في العمليات الاستشهادية أو عمليات المقاومة عمومًا. ونتيجة هذا المنظور إذا تمت الاستجابة لفحواه هي إيقاف عمليات المقاومة عامة والعمليات الاستشهادية خاصة.

مقالات كثيرة، وندوات تتحدث عن حقوق المدنيين في الكيان النازي اليهودي، دون أن تشير من قريب أو بعيد إلى حقوق المدنيين الفلسطينيين في أرض فلسطين وخارجها حيث المنافي والمخيمات والشتريد! القوم يتكلمون عن الغرباء الغزاة الذي جاءوا من شتى بقاع الأرض ليستوطنوا - بالحديد والنار - وطنًا ليس لهم، ويطردوا أهله منه إلى حيث البؤس والغربة وفقدان الهوية، ولا يذكرون أصحاب الوطن الحقيقيين في مجال نواحهم المأجور على المستعمرين الغزاة، لدرجة أن بعضهم - بعض القوم - يحصر المقاومة في الضفة والقطاع - دون بقية فلسطين - ويسمح بتوجيهها ضد العسكريين النازيين

اليهود وحدهم، وكأن غيرهم ملائكة رحمة نزلوا من السماء على أرض فلسطين السليبة، وليسوا مستعمرين دمويين طغاة!

الكيان النازي اليهودي منذ نشأته - بالحديد والنار - فوق أرض فلسطين يتكون من قتلة دمويين، لا يعرفون الرحمة، قتلوا مئات الألوف من الفلسطينيين والعرب، وتسلحوا حتى أسنانهم بأمضى الأسلحة التي مكنتهم من اقتلاع العرب الفلسطينيين داخل ما يسمى الخط الأخضر، ثم احتلال فلسطين كلها، وسيناء والجولان وجنوب لبنان وأجزاء من غرب الأردن.

وجميع اليهود الغرباء الغزاة، تدربوا على السلاح وخدموا في عصاباته العسكرية التي صارت تسمى جيش الدفاع. ويظل اليهودي الغريب الغازي مجندًا في هذا الجيش، سواءً كان رجلاً أو امرأة حتى سن الثامنة والخمسين، ويستدعى إلى الجيش في فترة الاحتياط شهرًا واحدًا على الأقل في السنة، إذا كانت الظروف عادية، أما إذا كان الوقت وقت عمليات، فإنه يُستدعى في أية لحظة، ويظل تحت السلاح حتى تنتهي العمليات. ويلاحظ أن المرأة اليهودية الغريبة الغازية، أشد وحشية وإجرامًا من الرجل، وعندما تستخدم السلاح فإنها تستخدمه بمنتهى القسوة وبأقصى طاقته، إنها لا تعرف الرحمة أبدًا.

أما أطفال اليهود الغرباء الغزاة، فهم يتعلمون أن قتل "العربي" واجب ديني وقومي ووطني، وصورة العربي في كتب التربية والتعليم

عندهم مقززة وحقيرة وبشعة، وتسوغ قتله بكل السبل والوسائل دون رحمة ولا شفقة؛ لأنه شرير وخائن وقذر، ويهدد الوجود اليهودي الغازي الغبي في أرض الميعاد، ثم إن أول كلمة يتعلمها الطفل اليهودي الغريب الغازي هي: قتل ومشتقاتها!

بالطبع، فإن أدبيات القوم من رجال السلطة ورجال الاستراتيجية الإعلامية في بلادنا العربية، لا تذكر شيئًا من هذه الحقائق للناس، ولا تشير إليها، فضلاً عن النسيان الكامل والتام لخمسة ملايين مشرد فلسطيني يتهددهم الضياع والزوال والموت المجاني في المنافي والمخيمات خارج فلسطين، هؤلاء الناس المشردون الذين يتعرضون للموت البطيء جوعًا وقهرًا وضياعًا، لا يذكر أحد من رجالنا أن اليهود الغزاة يقتلونهم يوميًا بإصرارهم على عدم عودتهم إلى أرضهم ووطنهم وديارهم.. وينوحون على مقتل يهودي غريب جاء من بلاد بعيدة ليمنع هؤلاء الفلسطينيين المساكين من حق العودة!

إن تزييف وعي الأمة وتضليل الناس جريمة لا يمكن السكوت عنها، وإذا كان العدو النازي الصهيوني، وصانعه الصليبي الاستعماري لا يتورعان ويبرعان في عملية التزييف والتضليل، فإن من العار والشنار أن يشارك بعض أبناء جلدتنا في هذه العملية، ويقدموا خدمة مجانية لعدو شرس يفقد مقومات الإنسان والإنسانية، ويحاولوا أن يكونوا لسان العدو الناطق في عالمنا العربي الإسلامي!

لم يقل واحد من الاستراتيجيين هؤلاء أو رجال السلطة، إن عدم عودة المشردين الفلسطينيين في المنافي والمخيمات، يوجب على الأقل من منظور التسوية بين الجاني والضحية، وقف استجلاب الغزاة اليهود من شتى العالم، ولكن القوم لا يفكرون في قول ذلك أبدًا، كل ما يريدونه هو وقف المقاومة حتى يتحقق الأمن والأمان للغزاة اليهود القتلة. مقابل ماذا؟ يقولون: إن المقابل هو تعاطف أو كسب ما يسمى الرأي العام العالمي، وتسألهم ماذا أعطى الرأي العام العالمي للفلسطينيين منذ قرن من الزمان، وهو يشاهد مصارع الشعب الفلسطيني وذبح أبنائه وتشريد مواطنه واقتلاعهم من أراضيهم ونفيهم إلى خارج وطنهم في غير مأوى أو هوية؟ بالطبع الإجابة لا تعدو أن تكون مصمصة شفاه هذا الرأي العام العالمي، ثم بعض الفتات من المساعدات للاجئين، وتلال من قرارات الأمم المتحدة لم ينفذ اليهود - القتلة - واحدًا منها!

ثم هل سمع القوم عن القتل اليومي المستمر على مدار الساعة للمدنيين الفلسطينيين، وهدم البيوت على رؤوس أصحابها في الضفة والقطاع؟ إن كانوا قد سمعوا حقًا، فقد كان ينبغي عليهم أن يتحدثوا عن ضرورة وقف قتل المدنيين الفلسطينيين، ومناشدة الرأي العام العالمي الذي يتحدثون عنه وكأنه المنقذ من الضلال، أن يتدخل ليوقف المجزرة التي يقترفها اليهود السفاحون الغزاة. ولكن يبدو أن دم

الفلسطينيين المساكين أرخص بكثير من مجرد الإشارة إلى كتاب "بروتوكولات حكماء صهيون" في مسلسل تليفزيوني... فالإشارة في هذا المسلسل خطر كبير على الإنسانية والسامية تجب مكافحته ومقاومته، فضلاً عن توبيخ من يشير إلى اليهود عموماً، فاليهود غير الصهاينة (شايفين الأخلاق!)، أما الدم الفلسطيني فأمر تافه لا يستحق مجرد الإشارة!!

لا يوجد مدنيون في الكيان النازي اليهودي، وإن وجدت بعض الجماعات اليهودية الصغيرة التي لا توافق على الكيان النازي اليهودي، فهي أقلية الأقلية أو الاستثناء الذي يثبت القاعدة، وهي دموية الكيان النازي اليهودي، ووحشية أفراده رجالاً ونساءً وأطفالاً... نسأل الله أن يحمينا منهم ومن حاملي الرايات البيضاء في بلاد العرب والمسلمين.



الرايات البيضاء؟!

مشكلة المنهزمين في عالمنا العربي أنهم لا يستطيعون إخفاء هزيمتهم الداخلية، إنهم يعبرون عنها بصور مختلفة تصب في النهاية ضمن رصيد الإحباط والتعجيز الذي يجعل المواطن العربي يصاب بالحيرة، وربما الانهيار، خاصة وأن هؤلاء المنهزمين يملكون قدرةً غير عادية في مخاطبة الأمة، على مساحات عريضة في الصحافة، وأوقات ذروة ممتدة على شاشات التلفزة وموجات الإذاعة، فضلاً عن الندوات والمؤتمرات التي يدعون إليها، ويتحدثون من خلالها.

إنهم يتناسون دماء الشهداء والجرحى من الشعب الفلسطيني، ويسخرون من الانتفاضة، أو على الأقل يستهينون بها، ويقللون من شأنها، ويتجرأ بعضهم ويدين العمليات الاستشهادية ويجرمها!

لقد دأب بعضهم على معايرة الأمة - وخاصة أهل فلسطين - بعدم القبول بقرار التقسيم الذي قررته الدول الاستعمارية في الأمم المتحدة عام ١٩٤٧م، وعدم الانضمام إلى "كامب ديفيد الأولى" التي كانت تتضمن حكمًا ذاتيًا للفلسطينيين لمدة خمس سنوات يتقرر بعدها مصير السكان في الضفة والقطاع..

وراح البعض يشمت في الانتفاضة والشعب الفلسطيني؛ بسبب إلغاء النازية اليهودية لاتفاقات أوسلو. وراحوا يبكّتون الأمة كلها: ألم

نقل لكم اقبلوا أوسلو؟ ها هي أوسلو قد ضاعت وأنتم قاعدون.. فماذا أنتم فاعلون؟

وبعضهم يدعو إلى ركوب قطار الشرق الصليبي الاستعماري بكل شروطه الهينة وثمن تذكرته الباهظة، وإلا فلن نصل - نحن العرب والمسلمين - إلى المكان الذي نقصده، أعني القدس أو فلسطين، حتى لو كان هذا القطار سرابًا في سراب، وكان سائقه يعاقب ركابه بجزاء "سنمار" - اسألوا الباكستان مثلاً؟

ومعظم المنهزمين يعيشون حالة من النرجسية أو التضخم الذاتي التي تعبر عن نفسها بشيء من الفجاجة أو الغلظة، ولا تخفي على القارئ كلماتهم المتورمة التي تقف موقف المعلم المستبد من التلاميذ، لا يقبل مناقشة ولا استفهامًا، فضلاً عن المعارضة، ويتبدى ذلك في بعض المواقف التي تأتي أحيانًا متفقة مع رغبة الأمة، فيتصورون أنهم زعماء فكر وسياسة يتنازعهم الناس إلى معسكراتهم وتياراتهم.

ولكن الموقف الذي يجمع هؤلاء المنهزمين هو موقفهم الغربي من العمليات الاستشهادية، إنهم يرددون ما يقوله العدو النازي اليهودي وظهيره الصليبي الأمريكي، فيسمونها انتحارية، وليست استشهادية، ويزعمون أنها عدوان على المدنيين اليهود، ويؤكدون أنها السبب في إعادة احتلال الضفة الغربية وإلغاء أوسلو (اللعينة)!

ومن حق هؤلاء، وغيرهم مثل رجال السلطة (التي كانت!) أن يدينوا ويؤيدوا كما يشاؤون، ولكنهم لا يحق لهم أن يدعوا احتكار الحقيقة

المطلقة، والزعم بأن آراءهم هي الصواب وحدها، وليس من حقهم أن يتجاهلوا ما أحدثته الانتفاضة والعمليات الاستشهادية في الكيان النازي اليهودي ببث الرعب في قلوب أفراده واستنزافه وإنزال الخسائر والمواجع بقواته ومنظماته الإرهابية، وعلى رأسها جيش الدفاع والموساد والوزارة الصهيونية (اليهود الغزاة كلهم إرهابيون وليس بينهم مدنيون).

وليس أسوأ من هؤلاء إلا أولئك الذين يحدثوننا عن التمسك بما يسمى بالسلام والمجتمع الدولي ومناشدة الأمم المتحدة تحمل مسؤولياتها تجاه الشعب الفلسطيني، وهو حديث خرافة بكل تأكيد؛ لأن السلام لم يعد له وجود أمام القتل اليومي، وتدمير البيوت والملاحقات والضغط على الدور العربية، وتجييش القوات لاحتلال العراق والإعداد لضربه وتدميره.. إن السلام لا يصنعه الصليبيون الاستعماريون والنازيون اليهود؛ لأنهم غزاة يسعون إلى قهر الشعب الفلسطيني والشعوب العربية وإخضاع المنطقة كلها بالقوة والهيمنة والاستعباد.

إن الذي يصنع السلام الحقيقي هو المقاومة الفعالة التي تقنع الطغاة المتجبرين بأن وجودهم القائم على القهر والعبودية لن يستمر، أو على الأقل لن يكون وجودًا مريحًا آمنًا. النازية اليهودية تعلم هذا جيدًا، وتدرك أهمية الانتفاضة ودورها في زلزلة المجتمع الاستعماري اليهودي في فلسطين، ولذا لا تعبأ بما يقوله المنهزمون، ولا تهتم بتنازلاتهم عن الأرض والعودة، واستعدادهم للتطبيع الكامل والشامل، والقبول بالشروط اليهودية الاستعمارية جميعًا!

ومن المفارقات الساخرة أن نجد بعض الكتاب يناشدون اليهود الغزاة الانسحاب من الضفة والقطاع حرصًا على مصلحة الكيان النازي اليهودي، وكأن اليهود الغزاة لا يعرفون مصلحة أنفسهم ولا يخططون وفق معلومات وحسابات لقهر العرب والمسلمين وفي مقدمتهم الشعب الفلسطيني الأسير، ونسي هؤلاء الكتاب أن الانسحاب لا يحدث بالمناشدات أو الإقناع اللفظي، ولكن يتم بشيء واحد اسمه الضغط أو الإكراه، سواء كان ماديًا أو معنويًا، وهو ما جرى على الجبهة المصرية بصفة عامة عقب حرب رمضان المجيدة، وجرى على الجبهة اللبنانية بعد استبسال حزب الله؛ مما جعل النازية اليهودية الاستعمارية تفر بليل دون شروط.

على السادة المنهزمين داخليًا، وخاصة في السلطة أن يتركوا شعبنا الفلسطيني الأسير يدافع عن نفسه بكل الوسائل الممكنة، ومنها العمليات الاستشهادية، ونأمل ممن يتطوعون لإدانة هذه العمليات أن يغلقوا أفواههم خجلاً من أنفسهم، واحترامًا لدينهم ووطنهم وكرامتهم.

إن النازية اليهودية لا تعبأ باتفاقات أو معاهدات أو أخلاق، وخاصة حين ترى من يواجهونها يرفعون الرايات البيضاء، وينامون على الحرير، ويتقلبون في العز - دون العزة - ويكتفون بالكفاح عبر الأغاني وميكروفونات الإعلام وأقلام الصحافة.. ولكنها - بالتأكيد - تعمل ألف حساب لمن يضحون بأنفسهم، ويدفعون ثمن الحرية والكرامة والاستقلال، والله غالب على أمره.

إعلان الانتفاضة... قبل إعلان الدولة!

بعض السياسيين العرب يوجه عنفه وتشدده إلى أهله ومواطنيه، أما العدو الصليبي وتابعه اليهودي، فله الرقة والعطف و"الدبلوماسية" حتى في لغة الخطاب، فهي ألفاظ منتقاة ومختارة بعناية لا تخدش سمع الأعداء الطغاة البغاة... الأهل والمواطنون لهم السجون والمعتقلات والسب المقذع عبر الخطب الرسمية وأجهزة الدعاية الحكومية والصحف السلطانية.. أما المستعمرون اللصوص، فلهم الأدب الجم، واللغة المهذبة، وسلوك الولد المطيع.

ولك أن تتأمل الفارق بين ما تفعله حكومة العدو اليهودي مع أفرادها، وما تصنعه السلطة الفلسطينية مع شعبها على سبيل المثال.

قام الحاخام "عوفاديا يوسف" - الزعيم الروحي لحركة "شاس" الإرهابية - بسب العرب والمسلمين، ووصف الفلسطينيين "بالأفاعي"، واتهم رئيس الوزراء اليهودي "إيهود باراك" بالكاذب والخائب.. وكان رد الفعل من جانب السياسيين اليهود والحكومة اليهودية الاستعمارية مجرد مناقشات هوائية تلتمس للحاخام النجس العذر في مجملها، أو مجرد التعبير عن الغضب الذي لا يجاوز حدود الاحتجاج!

أما على الجانب الفلسطيني، فإن السلطة لا تكتفي بسب المعارضين واتهامهم بالأصولية والإرهاب، ولكنها تقوم باعتقالهم وإيداعهم

السجون دون هوادة أو رحمة، وهو ما جرى في أثناء مفاوضات "كامب دافيد" الثانية التي أخفقت إخفاقًا ذريعًا وبعدها!

الفارق بين الطرفين أن أحدهما ينظر إلى قضاياه ومصالحه بصدق مع النفس، والآخر ينظر إلى قضاياه ومصالحه بعيون الآخرين - وهم الأعداء - حيث لا يرجون له نفعًا أو رشدًا، بقدر ما يرجون له فناءً وانتهاءً.

من يصدق أن العدو الصليبي وتابعه اليهودي، يرجو الخير للفلسطينيين أو العرب أو المسلمين؟

من يصدق أن الولايات المتحدة الأمريكية - زعيمة العالم الصليبي، وصاحبة القاعدة العسكرية الصليبية في فلسطين التي تسمى بالدولة العبرية - يمكن أن ترضى عن الفلسطينيين أو العرب أو المسلمين؟

إن العالم الصليبي وتابعه اليهودي لا يجد غضاضة في وصم الفلسطينيين والعرب والمسلمين بكل التهم الغليظة التي يمارسها هو مثل الإرهاب والوحشية والنهب، والغاية من هذه التهم هي تفتيت المقاومة الفلسطينية العربية الإسلامية لاستعماره وإجرامه وشروره، وإشاعة اليأس والفرقة والاحتراب داخل الصف الفلسطيني العربي الإسلامي، حتى يتحقق "تهويد" الأرض و"تصليب" الإنسان!

وما المفاوضات التلفزيونية التي تجري بين القاتل والضحية، هنا وهناك، إلا حلقة من حلقات كسب الوقت، ووأد المقاومة، وتلويث سمعة الفلسطينيين والعرب والمسلمين!

إن الأعداء يتحدثون دائمًا عن الشرعية الدولية، ولكنهم في فلسطين يرفضون هذه الشرعية الدولية الظالمة، ولا يعترفون بقرارتها التي لا تقر الاحتلال، وتأمر بعودة اللاجئين وتعويضهم.. الشرعية الدولية تُنَفَّذُ في حالة واحدة هي تطبيق العقوبات الشرسة والحلول الظالمة على المسلمين فقط... تأمل ما يجري في البوسنة وكوسوفا وقبرص وكشمير وليبيا والعراق والسودان على سبيل المثال.

ولا ريب أن العمل السياسي لن يحقق شيئًا من الأهداف الفلسطينية المتواضعة التي تسعى إليها السلطة الفلسطينية الإدارية المحدودة، وهو ما أثبتته المفاوضات مع العدو منذ مؤتمر مدريد، مرورًا بأوسلو وواشنطن وواي ريفر وشرم الشيخ والقاهرة وإيلات، حتى كامب ديفيد الثانية.. مما يعني أن التفاوض غير مجد، خاصة أن العدو يقنع العالم بتمثيليات سياسية مكررة وسخيفة حول الائتلاف والاختلاف بين الأحزاب اليهودية العلمانية والدينية، وكلها ترفض تنفيذ القرارات الدولية الظالمة.

وليت السلطة الفلسطينية تتعلم من العدو، وتترك شعبها بمنظماته الجهادية، وأفراده البسطاء؛ كي يتعاملوا مع العدو باللغة التي يفهمها ويعرفها جيدًا، ولا يعرف سواها، وهي اللغة التي ألغيت في أوسلو، ولكن حزب الله طبقها، فحقق لأول مرة - بعد حرب رمضان - طردًا للعدو وقواته دون مفاوضات، ودون شروط ودون اعتراف، ودون سفارة يرفرف عليها علم الاحتلال.. إن إعلان الانتفاضة المسلحة في فلسطين فريضة واجبة الأداء، قبل إعلان الدولة الشكلي الذي لن يحقق أية مكاسب!

شجاعة عربية؟!

غضبت الدولة العربية، وغلي الدم في عروقها، وأعلنت الثورة المقدسة ضد قناة "الجزيرة" القطرية التي تبث من الدوحة، وترجمت ثورتها وغليانها وغضبها باستدعاء سفيرها في "قطر" تعبيرًا عما يسمى في العرف الدبلوماسي "بالاستيلاء"، وحتى تقوم "قطر" بالترضية المطلوبة للدولة المعنية، فيعود السفير إلى مقره هادئًا مطمئنًا، وواثقًا أن أسباب الغضب والغليان والثورة لن تتكرر مرة أخرى!.

ماذا فعلت قناة "الجزيرة" لتسبب للبلد الذي تبث منه هذه الأزمة وهذا الحرج؟

السبب بسيط ومعتاد، وهو استضافة متحدث في برنامج الاتجاه المعاكس، يمثل الرأي الآخر في موضوع يخص البلد العربي الغضبان، يواجه متحدثًا يدافع عن هذا البلد ويعبر عن أفكاره. وقد بدا من الحلقة التي شاهدت معظمها أن المتحدث الأخير أخفق تمامًا - مع أنه محام - في مواجهة المتحدث الأول الذي يعمل أستاذًا بجامعة أمريكية، ويملك من العلم والوثائق ما جعل كلامه شبه مؤكد، إنه لم يأت بكلام من عنده، فقط أورد ما نشره اليهود والغربيون من كتاب وصحفيين ومؤرخين تناولوا فيه مواقف زعماء البلد العربي وقادته من الكيان

النازي اليهودي الغاصب. وهي مواقف تتسم بقدر كبير من الغرابة والشذوذ، إن لم نقل بالخيانة والانتهازية، مما ضيَّع على العرب والشعب الفلسطيني المظلوم كثيرًا من الحقوق، وسجل العديد من الهزائم والنكسات في تاريخ العرب والفلسطينيين!

المنشور من كتابات الأجانب معروف، وظهر على مدى السنوات الماضية، وعلم به القاصي والداني، وممن علموا به الحكومة العربية الغاضبة الثائرة على المتحدث الأول الذي ينتمي إلى أصول فلسطينية أو عربية، وإن كان يعمل في إحدى الجامعات الأمريكية.

عندما ظهرت هذه الكتابات لم يصدر أدنى احتجاج من الحكومة العربية المعنية، ولم تثر، ولم تستدع سفيرها من هذه الدولة أو تلك، بل اعتصمت بصمت الحملان، وسكتت سكوت الشياطين الخرس، بل إنها لم تقم في حينه بأي تفسير أو تصحيح أو حتى نفي لما قاله هؤلاء الناس، ولكنها تستشيط غضبًا وغليانًا وثورةً على حكومة قطر التي لا تملك جيشًا ولا سلاحًا ولا نفوذًا يهددها ويجعلها تتراجع عن استدعاء السفير أو التهديد بقطع العلاقات.

قد تبدو المسألة في حقيقة الأمر شيئًا ثانويًا قليل الأهمية في المنظور العام للأحداث التي تجري في البلاد العربية، ويألفها الجمهور هنا وهناك، ولكنها تمثل من وجهة نظري هوانًا غير مسبوق تعيشه الحكومات العربية التي آثرت أن تكون شوكتها قوية ضد شعوبها وأشقائها، وأن تكون لينةً هينةً طائعةً أمام الأعداء والخصوم. إنها

تتعامل بقسوة وفظاظة ودون تردد ضد الأهل والأبناء. أما القتلة المجرمون الغاصبون من اليهود والصليبيين، فلهم المودة والرقة والتماس العذر.. كيف؟ إنها المفارقة الغريبة التي تحكم حياتنا العربية العجيبة البائسة!.

يفترض فيمن يزعمون أنهم ديمقراطيون أحرار يحبون شعوبهم ألا يتأثروا لقول معارض أو برنامج معارض، أو صحيفة معارضة.. فأصول الديمقراطية والحرية والحب تقتضي أن نسمع ونرد، ونعتذر عن الأخطاء والخطايا التي تقع فيها أو وقع فيها من سبقونا؛ لأن المصلحة العامة للأمة أو المصلحة العليا للشعوب، تقتضي أن تتضافر جهود الجميع أفرادًا وحكامًا لحماية الشعب والأمة من الأخطار التي يصنعها العدوان أو الكوارث. أما أن نعطي لأنفسنا عصمة أو قداسة، فهذا ما يأباه الدين، وترفضه الفطرة، ولا تقبله الأخلاق. ماذا في برنامج تذيعه قناة "الجزيرة" تستضيف فيه مدافعًا ومهاجمًا، يعطي كل منهما ما لديه والحكم بعد ذلك للمشاهدين أصحاب العقول والتفكير؟ هل أنتم مقدسون معصومون أيها السادة؟ كلا؛ لأن هزائمكم وجرائمكم وفضائحكم تملأ صفحات التاريخ وتضاريس الجغرافيا.

ويعلم الناس أن الكيان النازي اليهودي في فلسطين قد ارتكب ضد الشعب الفلسطيني والشعب اللبناني ما تقشعر له الأبدان؛ بسبب الوحشية والدموية والنازية التي يمارسها جيش القتلة اليهودي، ولكن دولتنا العربية الغاضبة الثائرة لم تستطع أن تستدعي سفيرها لدى

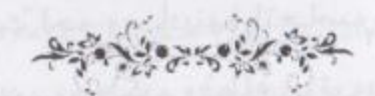
الكيان النازي اليهودي، فضلاً عن أن تقطع علاقاتها الدبلوماسية والسياسية والاقتصادية معه.. بل إنها تمادت في دعم علاقاتها معه وتنميتها وزيادة ورادتها السلعية منه، وشاركته حصار الفلسطينيين، واعتقلت - وفاخرت بهذا الاعتقال! - من يقومون بتهريب السلاح إلى المجاهدين الفلسطينيين الذي يقتل شعبهم وتدمر بيوته ويؤسر أفراده على مرأى ومسمع من الدنيا كلها، ثم شجعت ما يسمى بالتطبيع الشعبي مع الكيان اليهودي الغاصب، وقامت - يا للعار - بالدخول على موقعٍ في شبكة "الإنترنت" يدعو إلى مقاطعة التطبيع، ودمرته، كما دمرت موقعًا آخر للمعارضة في بلادها يدعو إلى مقاومة الفساد والمفسدين بعد أن نشر الأدلة والوثائق (راجع مجلة "الشباب"، عدد أغسطس ٢٠٠٢م).

استدعاء السفير بسبب قناة "الجزيرة" ليس حلاً، ولن يقنع القناة الفضائية القطرية كي تعدل عن موقفها أو تمتنع عن تقديم الحقيقة والآراء المخالفة، ثم التحول إلى قناة مديح، تشيد بالزعماء الملهمين والقادة المظفرين، والمسؤولين المتفوقين، وتستضيف خدامهم من الكتبة والمثقفين والمهرجين، وتبرز صورهم وهم يبتسمون أو يركعون أمام سادتهم في البيت الأبيض والقصر الأخضر والفندق الأحمر!

إذا تحولت "الجزيرة" إلى قناة مديح، فلا حاجة للناس إليها؛ لأن عندهم من قنوات المديح ما يفوق الحصر، وهذه القنوات تقوم بمهماتها خير قيام، وهي تغدق عليهم - على الناس - تجليات الزعماء والقادة

والمسؤولين غير المسبوقة، ومعجزاتهم التي لم يأت بها نبي، وكراماتهم التي لم تجرِ على يد ولي.

إن الشجاعة العربية باستدعاء السفراء أو قطع العلاقات مع العواصم العربية، ليست هي الشجاعة المطلوبة. ولكن استدعاء السفراء وقطع العلاقات مع الدول الصليبية الاستعمارية والكيان اليهودي النازي الإرهابي، هو ما تطلبه الشعوب العربية والإسلامية؛ لأنه يعبر - على الأقل - عن رغبة، أو التلويح برغبة، ترفض الذل والخنوع والمسكنة والتبعية لأعدائنا وأعداء الشعوب وأعداء الله. إنها رغبة المقاومة والصمود في وجه القتلة والطغاة، حتى يأتي نصر الله والفتح!.



هل يتوقف المسلسل؟

مسلسل التعب والإجهاد الذي أصاب الأشاوس والنشامى في السلطة الفلسطينية، مازال مستمرًا، وعرض حلقاته يتوالى، وأحدثها حلقة غزة / بيت لحم، الذي قبل فيه الأشاوس والنشامى أن يقوموا - نيابة عن العدو النازي اليهودي - بقمع الشعب الفلسطيني الأسير وإذلاله ومنعه من المقاومة نظير انسحاب دباباته من الشوارع والميادين في المدن والقرى الفلسطينية لتطويقها ومحاصرتها بالدبابات نفسها، أي توسيع مساحة السجن قليلاً، وفي الوقت الذي قيل: إن الدبابات خرجت من شوارع بيت لحم وميادينها لتحاصرها من الخارج، كان جيش القتلة اليهود يضرب طولكرم وقطاع غزة، ويقصف البيوت ويهدم منازل من يقول: إنهم إرهابيون، ويغتال ويأسر من يزعم أنهم يخططون لعمليات إرهابية، ووزير الداخلية الفلسطيني يواصل مفاوضاته مع القتلة اليهود لينفذ تفاهمات غزة / بيت لحم بأي ثمن وأية وسيلة، ولو كان الثمن التخلي عن الاستقلال الذي يعرفه البشر، ولو كانت الوسيلة مطاردة المجاهدين وسجنهم وتقديمهم للعدو الصهيوني المجرم.

وواضح أن مسلسل التعب والإجهاد الذي أصاب الأشاوس والنشامى في السلطة الفلسطينية ليس ناجمًا عن مشاركتهم في مقاومة المحتل النازي اليهودي وإنزال الخسائر بقواته الغازية وجيشه السفاح، ولكنه

ناجم عن تعبهم من الحديث على الشاشات الفضائية والأرضية، وإجهادهم من مفاوضات التنازل والاستسلام للعدو، فالأخير لا تعنيه كمية التنازلات أو مساحة الاستسلام، ولكن يعنيه الامتثال لإرادته ومشيئته؛ لأنه يستشعر أنه هو الذي تفضل وجاء بهؤلاء الأشاوس والنشامى من المنافي والمهاجر ليخدموه ويحرسوه، ويقوموا على حماية الغزاة المستعمرين داخل الخط الأخضر وخارجه، فإذا قصروا في مهمتهم فالويل لهم ولمن يساعدهم على عدم تنفيذ إرادته ومشيئته؛ ومن ثم تكمن المشكلة بالنسبة لهم. فالشعب الفلسطيني الأسير يريد أن يتحرر من ربقة الاستعباد اليهودي، ويسعى إلى تحرير أرضه، ويعمل ليعود اللاجئون والنازحون إلى ديارهم وبلادهم وأراضيهم ومزارعهم التي أرغموا على مغادرتها قبل خمسين عامًا. والأشاوس والنشامى يسعون إلى الجلوس على الكراسي الوثيرة، والتمتع بالألقاب المهيبة، وممارسة السلطة على الشعب المسكين كي يسمع لهم ويطيع، وينفذ مشيئة المستعمر وإرادته.. لذا فلم يحدث تقدم على مسار الاتفاقات التي وقعتها السلطة مع العدو النازي اليهودي، وإنما حدثت انتكاسات خطيرة.. الشعب الفلسطيني يقاوم ويضحي، والعدو النازي يضرب ويتوحش، ومع أن التاريخ يقدم أمثلة عديدة تؤكد أن المقاومة هي التي تنتصر في نهاية المطاف على قوى الشر والبغي والعدوان، فإن السلطة لم تعتبر بالتاريخ ولا غيره، وتصر على أن تقدم للعدو خدمات جليلة؛ بحجة أن الشعب عانى كثيرًا، ويجب التخفيف عنه، وهو ما يرده العدو

أيضًا في سياق حربه الدعائية، من ذلك مثلاً ما قاله السفاح "شيمون بيريز" تعقيبًا على تفاهمات غزة / بيت لحم، بأن الشعب الفلسطيني خسر كثيرًا بسبب المقاومة (يسميها الإرهاب!) خسر اقتصاديًا وسياسيًا ومعنويًا، وتعرض للحصار وفقدان كثير من الضحايا (يقصد الشهداء)، ولم يقل بالطبع: إن كيانه النازي اليهودي عرف لأول مرة في التاريخ الصهوني كيف أوجعته المقاومة، وجعلته يخسر عشرات المليارات من الدولارات، وجعلت أفراده يعرفون الهجرة المعاكسة، الدائمة والمؤقتة، وكيف صار جيش القتل مشدودًا بصورة مستمرة، وكيف صار الخوف يسكن جموع الغزاة القتلة، وكيف فرضت المقاومة لأول مرة ميزانية تقشفية تهدد بتفكيك حكومته الإجرامية، وكيف... وكيف...؟

النغمة التي ترددها السلطة مع العدو، جعلت الأشاوس والنشامى يمضون في منحدر التنازلات إلى نهايته بما فيه المقدسات التي لا يملكونها ولا يحق لهم بأية صورة من الصور أن يتنازلوا عنها؛ لأنها ملك المسلمين جميعًا، وليست ملكًا للفلسطينيين أو العرب. ويبدو أن شعوبنا المقهورة لم تشاهد حلقة خطيرة من حلقات مسلسل التعب والإجهاد الذي أصاب الأشاوس والنشامى، أعني بها حلقة التنازل عن السيادة في الحرم وحق العودة إلى حدود الكيان النازي اليهودي، وكان بطلها من يسمى "زياد أبو زياد" وزير شؤون القدس (!) في السلطة، وعضو المجلس التشريعي الفلسطيني! لقد تجاهلت معظم صحف

الوطن العربي من الخليج الثائر (!) إلى المحيط الهادر (!) حلقة هذا المسلسل، ولكن "عكيفا ألدار" شاهده وكتب عنه في "هاآرتس" عدد (٢٠٠٢/٧/٢٣م) سعيدًا بمضمونه ومعطياته وإخراجه، وقد أشاد بالممثل الأول المدعو "زياد أبو زياد" وبممثل آخر شارك في حلقة سابقة اسمه "سري نسيبة" مسؤول ملف القدس! في السلطة ووصفه بالتبصر والفهم وصوت العقل؛ لأنه عدل موقفه (وهو موقف السلطة بالتالي) من مسألتين: الأماكن المقدسة وحق العودة إلى داخل الخط الأخضر.

زياد أبو زياد لا يحمل بطاقة الإقامة في القدس الشرقية؛ لأن "نتنياهو" سحبها منه في مطلع عام ١٩٩٩م، ويطلب تصريحًا لدخول القدس أو الخروج منها. وحلقته في المسلسل الانهزامي تتلخص في رفض المقاومة واللجوء إلى المفاوضات من أجل الحل اعتمادًا على مبادئ:

١- دولتان لشعبين مع تعديل الحدود.

٢- إخلاء المستعمرات.

٣- القدس مفتوحة والأحياء تحت سيطرة الأغلبية، والحرم الشريف من دون سيادة مع تشكيل هيئة دولية لضمان ذلك.

٤- حق العودة من خلال المفاوضات وموافقة الطرفين، مع تشكيل صندوق لتعويض اللاجئين من عام ١٩٤٨م، ويطبق في حدود دولة فلسطين (أي الجديدة).

٥- الدولة الفلسطينية (الجديدة) تكون منزوعة السلاح.

٦- نهاية الصراع بتوقف أعمال العداء مع التوقيع على المبادئ السابقة!

لاشك أن حلقات مسلسل التعب والإجهاد الذي يمثله الأشاوس والنشامى لن يقف عند هذا الحد، ولكنه سيستمر لتقديم المزيد من التنازلات، وإهدار دماء الشهداء الأبرار، ونقل الصراع إلى داخل الشعب الفلسطيني في الداخل والمنفى، ولو أنه توقف قليلاً، وانضم الأشاوس والنشامى إلى شعبهم لكانت النتيجة مغايرة تمامًا، ولصرخ العدو أولاً، واندحر مهزومًا بعون الله.



الذين تعبوا!

كلما رأيت واحدًا من الأشاوس والنشامى في السلطة الفلسطينية يتحدث عن التفاوض واستحقاقات مدريد وأوسلو وشرم الشيخ واللجنة الرباعية، فضلاً عن تينيت وزيني، أشعر بنوع من الأسى على هؤلاء الذي يصرون على رهن قضيتهم وبلادهم ومستقبلهم بيد آخرين، لا يقلون انحطاطًا خلقيًا وإنسانيًا عن عدوهم المباشر الذي يقصفهم بالطائرات والدبابات والصواريخ، ويحاصرهم في كل مكان، ويدمر بيوتهم ويخرب مزارعهم، ويقتل رجالهم ونساءهم وأطفالهم، ويأسر من يستطيع الإمساك به واعتقاله!

مشكلة الأشاوس والنشامى في السلطة الفلسطينية أنهم لا يريدون الاعتراف بالحقائق على الأرض، ولا يرغبون في الخروج من دائرة الوهم التي صنعوها، ودخلوا إليها بإرادتهم فضيعوا وأضاعوا.

خذ مثلاً تلك الاجتماعات التي يعقدها أعضاء في السلطة مع بعض المسؤولين في الكيان النازي اليهودي الاستعماري. ما هدفها؟ وما نتائجها؟ إنها لا تسفر عن شيء أبدًا بالنسبة للشعب الفلسطيني؛ ولكن العدو يستثمرها لحسابه، ويوحي للعالم أنه ما زال يتفاوض، ويبحث عن حل، وأن السلطة هي التي تتشدد ولا تصل معه إلى حلول تخفف

العناء عن الشعب الفلسطيني؛ لأنه يريد ببساطة أن تقوم السلطة وأزلامها بتأمين الوجود اليهودي الاستعماري وحمايته ومنع مقاومة دباباته وصواريخه ومدافعه.. وإذا لم تستطع؛ فهي - بمفهومه - قد فرطت في مهمتها ودورها، ولم تقم بواجبها في المجال الأمني الذي يصر العدو ومعه الشيطان الأكبر (أمريكا) على إصلاحه (١١).

في كل لقاء بين السلطة والعدو يقولون: إن المحادثات تدور حول القضايا الأمنية، والسياسية والإنسانية، ولكن العدو يستبعد كل شيء إلا القضايا الأمنية حيث يطلب من رجال السلطة أن يقمعوا شعبهم ويعتصروه إلى آخر نقطة من دمه، وإلا وصف السلطة بالإرهاب والعصابة المجرمة، والقتلة، وهي أوصاف تخيف الأشاوس والنشامى، وتجعل ركبهم تصطك، وقلوبهم تنزل إلى أرجلهم! ويستمر الحال، تتجول الدبابات الضخمة في شوارع المدن والقرى الفلسطينية تفرض خطر التجول أو السجن داخل البيوت لأيام بل لشهور، كما حدث في نابلس، وتتوقف الحياة، ويموت الناس قهرًا وكيدًا وغيظًا قبل أن يموتوا بيولوجيًا وعمليًا... ومع ذلك ما زال الأشاوس والنشامى يعتقدون في جدوى المفاوضات، ويرون أن السيد الأمريكي سينقذهم من الضلال، ويصنع لهم المستقبل الوردي، وهو وهم كبير لا أساس له؛ لأن المفاوضات منذ أكثر من خمسين عامًا لم تثمر شيئًا ذا قيمة، بل ساعدت على ضياع المزيد من الأرض والمقدسات، والسيد الأمريكي يقف صراحة إلى جانب خادمه النازي اليهودي، ويمنحه تأييده المطلق ودعمه غير المحدود سياسيًا وعسكريًا واقتصاديًا ودبلوماسيًا. ولعل

الوفد الذي سافر برئاسة "صائب عريقات" يعطينا من خلال رحلته إلى واشنطن ومقابلته لبعض المسؤولين الأمريكان صورة لمدى الامتهان الذي يتعرض له رجال السلطة من أمريكا ومسؤوليها. لقد ذهب الوفد الفلسطيني ليسمع أوامر أمريكية يجب تنفيذها، دون مناقشة، وهي وقف المقاومة وقمع الشعب الفلسطيني واعتقال المجاهدين الفلسطينيين.. ثم استبدال المناضل البهائي "أبو مازن" بالسيد عرفات "سجين رام الله"؛ كي يصبح وزيرًا أول أو رئيسًا للوزراء في السلطة ويقدم تنازلاته التي وعد بها سادته اليهود الغزاة، وهي القبول بدولة هزيلة مقسمة إلى عدة مناطق، من دون القدس، ودون جيش، ودون عودة اللاجئين والنازحين إلى أرض فلسطين، على أن يكون الهدف الرئيس للدولة الهزيلة حماية الكيان النازي اليهودي من ضربات المجاهدين!

لا ريب أن سلوك الأشاوس والنشامى في السلطة يتناقض مع ما تبذله فصائل المقاومة من محاولات لوضع سياسة عامة للمقاومة وتحرير فلسطين، الفصائل تبحث عن طريق أكثر جدوى للجهاد والتحرير، والأشاوس والنشامى يبحثون عن طريق أكثر سرعة وأقصر مسافة للاستسلام والتفريط؛ كي يقودوا الدولة الهزيلة، وينعموا بكراسي سلطتها الهزازة! ومع ذلك فإن بعض المغالطين يرون أن الدعوة إلى الموت الجميل في سبيل تحرير فلسطين هي دعوة إلى إبادة الفلسطينيين؛ كي تتولى "حماس" و"الجهاد الإسلامي" قيادة الشعب الفلسطيني، والسؤال هو: هل الذين يسعون إلى الشهادة ويتوقعون

الاغتيال والأسر يسعون إلى الحلول محل السلطة الميتة البائسة؟ إن كان الموت الجميل سعيًا لقيادة الشعب الفلسطيني فأهلاً به!

قرأت لأحد الأشاوس والنشامى حديثًا في جريدة "**الشرق الأوسط**" (١٤/٨/٢٠٠٢م)، وصفته الجريدة بأنه مدير المخابرات الفلسطينية في الضفة الغربية، ويقول صاحبنا: إنه ضد العمليات التي تجري ضد المدنيين اليهود وضد المدنيين الفلسطينيين! منطق الهزيمة يهيمن على المناضل الأكبر، ومثله مثل الفريق العلماني المهزوم الذي يقود السلطة البائسة حيث تعب من نضاله المزيف، وكفاحه التلفزيوني.. ولا ريب أن استخذاء الوفد الفلسطيني الذي سافر إلى واشنطن برئاسة "صائب عريقات" خير دليل على التعب أو الوهن الذي أصاب الأشاوس والنشامى، وجعلهم يستعجلون الوصول إلى كرسي قيادة الدولة الهزيلة المأمولة بأسرع ما يمكن وبأية وسيلة!

ترى، هل تستطيع فصائل المقاومة أن تستعيد تجربة حزب الله في لبنان، وتتوحد تحت راية الجهاد الممتد حتى تحرير فلسطين ودحر العدوان النازي اليهودي، إن الثقة في الله والاعتماد عليه، ثم بذل الطاقة والجهد، يقود إلى تحقيق الغاية والهدف بإذنه تعالى، أما السير وراء الذين تعبوا وتنازلوا عن القدس وحق العودة وارتضوا الهوان في أحضان أعداء الله؛ فعليهم أن ينتظروا غضب الله وسخطه، وما ربك بظلام للعبيد!



توحيد المقاومة المسلحة

"**من شاس إلى حماس**" كان عنوان تحقيق كتبه صحفي صهيوني عن قصة إسلام "يوسف حنان كوهين" وزوجته "لونا" وأولاده الأربعة، وانتقالهم من مقر إقامتهم في نيتفورة إلى القدس الشرقية، وتعلمهم الشريعة والعادات الإسلامية في جمعية تابعة لمنظمة حماس الإسلامية. "**يوسف خطاب**" هو الاسم الجديد للرجل، وقد تغيرت أسماء أولاده إلى أسماء إسلامية، فصار "عزرا" مثلاً "عبد العزيز"، وصارت "حيدة" "حسينة". كانت أسرة يوسف من اليهود "الحريديم" المتشددين، وكان في صف حزب "شاس" المتطرف ومن أكبر مؤيديه، ولكن زعيمه العنصري الفظ "عوفاديا يوسف" - بسبب تعصبه ودمويته - جعل الأسرة تنتقل إلى الإسلام، وتكره الاحتلال النازي اليهودي، وتؤيد حماس والمقاومة!

هذه القصة التي انشغل بها الكيان النازي اليهودي وصحفه هي واحدة من تجليات المقاومة الإسلامية الباسلة، التي فضحت حقيقة اليهود المستعمرين الغزاة، وكشفت بما لا يدع مجالاً للشك عمق الإجرام العنصري اليهودي ونازيته الإرهابية، فجعلت "يوسف كوهين" يتحول إلى "يوسف خطاب" ويقدم نموذجًا للإنسان حين تهديه فطرته النقية الصافية إلى الحقيقة، فيرفض الشر وينحاز إلى الخير.. وإذا

كان "يوسف خطاب"، قد أقدم على خطوته الجريئة الشجاعة ليواجه الأشرار مباشرة، فإن ما أذاعته وكالات الأنباء عن قيام ستين ألف يهودي في فلسطين المحتلة بطلب الجنسية الألمانية تمهيدًا لرحيلهم عن الأرض المحتلة يمثل نموذجًا آخر، من نماذج الرفض للسياسة الشريرة التي تقوم بها العصابات النازية اليهوية ضد الشعب الفلسطيني. وإذا تذكرنا أن أعدادًا لا يستهان بها خرجت من الكيان النازي اليهودي إلى أوروبا وأمريكا لتقيم هناك بصفة مؤقتة؛ خوفًا من المقاومة وهربًا من بلاد لم تعد آمنة، فهذا يعني أن المقاومة الفلسطينية تمضي على الطريق الصحيح، وتقترب من النصر المؤزر بإذنه تعالى، ولو كره المنافقون! والمتمرغون على أقدام واشنطن وتل أبيب.

ما يقلقني هو تعدد فصائل المقاومة المسلحة، وإذا كان التعدد في المجال السياسي مقبولاً بل مطلوبًا لتتنوع الرؤى والاجتهادات والأفكار التي تسفر عن قواسم مشتركة، مهمة ومفيدة، فإن التعدد في المجال القتالي يبدو عبئًا ومكلفًا وقليل الثمار؛ ذلك أن ظروف المقاومة في فلسطين تختلف عن ظروفها في أي بلد آخر! فهي محاصرة في البر والبحر، من الأعداء والأشقاء، لا يصلها سلاح عبر الحدود، ولا تملك سلاحًا في الداخل، والعدو يقطع الطريق على المحاولات البدائية لإنتاج أي سلاح خفيف مؤثر.. ولم يبق أمام المقاومة غير شراء السلاح الشخصي أو الخفيف مع الذخائر من جنود الاحتلال، وهو أمر صعب ومكلف، وإن كان ممكنًا في النهاية، بيد أن فصائل المقاومة لو توحدت

يمكنها أن تتكامل ميدانيًا وتسليميًا، ومن ثم تكون لعملياتها العسكرية المباشرة (غير العمليات الاستشهادية) تأثيرها المباشر والفعال على جنود العدو ومدرعاته ودباباته، وتستطيع أن تنتقل إلى طور الاشتباك والاقتحام الذي قد يسفر عن أسر جنود وأفراد، وهو ما يعني أن المقاومة عندئذ باتت تملك أوراقًا للمساومة والضغط على العدو للانسحاب أو إطلاق سراح المعتقلين الفلسطينيين، مع تحقيق مكاسب سياسية على مائدة المفاوضات الحقيقية.

بالطبع، فإن توحيد فصائل المقاومة كان يبدو أقرب للتحقق، لو أن الأشاوس والنشامى فيما يسمى السلطة الفلسطينية (التي تقوضت عمليًا الآن) استفادوا من الدروس التي مرت بهم والعبر التي قدمتها الأحداث، وانحازوا إلى شعبهم ومقاومته الباسلة، وتركوا "المقاطعة" بأطلالها الخربة، وأذاقوا جيش الاحتلال بعض ما يذيقه للشعب الفلسطيني الأسير. كانت هناك قوات أمن فلسطينية تقرب من أربعين ألف رجل في الضفة والقطاع، وقد استطاع النازيون اليهود تشتيت هذه القوات وقتل الكثير من أفرادها أو إصابتهم في هجمة السور الواقي المستمرة منذ ٢٩ مارس ٢٠٠٣م، فضلاً عن اعتقال أعداد غفيرة ممن طالته أيديهم، ومازال النازيون اليهود يسعون إلى استئصال من بقي منهم أو تحويله لحراستهم وتأمينهم عبر السلطة الفلسطينية التي رفعت راية الاستسلام ورضخت لمطالب المستعمرين اليهود الغزاة!

لو أن الأشاوس والنشامى علموا - وهم يعلمون بالتأكيد - أن

استجداء المفاوضات الشكلية لتحقيق المطالب الفلسطينية في الحرية والكرامة والعودة والاستقلال، لن يثمر نتيجة، لحوَّلوا قوات الأمن الفلسطينية إلى قوات فدائية تسهم في المقاومة، وتقض مضاجع العدو، وترغمه على الرحيل عن أرض فلسطين ومقدساتها، ولكن الأشاوس والنشامى مازالوا يصدقون أن الخطب الإنشائية على شاشات الفضائيات والمؤتمرات الصحفية يمكن أن تعيد إليهم الأرض والعرض، وتحقق طموحات الشعب الأسير! وجعلوا ما تبقى من قوات الأمن وسيلة لقمع شعبهم واعتقال مجاهديه، وتشكيل مراكز قوة لأزلام السلطة الحاليين والسابقين!

ومع ذلك، فإن الشعب الفلسطيني الأسير يملك من أبنائه ذخيرة حية وفاعلة، تجعل منهم جيش مقاومة موحد، يتحرك وفق استراتيجية محددة يصنعها القادة الميدانيون، هدفها إرغام العدو النازي اليهودي على كف يده، والهروب مدحوراً من أرض فلسطين، وهو ما يعني أن تتلاقى الفصائل الإسلامية والوطنية والمخلصون في قوات الأمن الفلسطينية لتشكيل قيادة مشتركة تهتم بالتخطيط الميداني لمقاتلة العدو وأفراده، وتطبيق منهجه في اغتيال الزعماء والقادة والمدنيين وهدم البيوت النازية، وقطع الطريق على قواته.. لابد من أن يشرب من الكأس نفسها، من خلال عمليات جماعية تضم العشرات، وتفعل به مثلما يفعل بالشعب الأسير.. مع ملاحقة الخونة الذين يسمونهم بالمتعاونين، فهم عين العدو التي يبصر بها المجاهدين ومواقعهم،

ويتمكن بوساطتهم من الاغتيال والأسر والقصف والتدمير.

إن المقاومة - ورجالها يريدون الآخرة قبل الدنيا - تستطيع الالتقاء، وحسم كثير من التباينات من أجل المستقبل وحرية الشعب وكرامته وإنقاذ المقدسات، ولتبق المناصب والزعامات لأزلام السلطة الذين باعوا كل شيء من أجل المغانم والمنافع، فاليهود والأمريكان يتكلفون بإهانتهم يوميًا ومسح البلاط بكرامتهم، وهم يجدون لذة في ذلك، وكأنهم يقولون لجلاديهم: هل من مزيد؟ يا رجال المقاومة الفلسطينية توحدوا تحت الراية الظافرة - إن شاء الله - فالطريق إلى القدس.. الطريق إلى الجنة، لا يحتمل أية خلافات أو تشرذمات.



اعتذار إلى ملكة جمال فلسطين!

نحن - أنا وأمثالي - مدينون باعتذارنا إلى المجاهدين من الشعب الفلسطيني الأسير، خاصة المرأة الفلسطينية، والاستشهادية على وجه أخص.. فقد فجعنا بعض المصريين حين أقاموا في "مارينا" - شاطئ المشاهير والأساطير - حفلاً لاختيار ما يسمى "ملكة جمال مصر"، وزادوا في فجيعتهم لنا حين أعلنوا أنهم كانوا قد أجّلوا الحفل أسبوعًا تضامنًا مع الانتفاضة الفلسطينية!

في العصر الثوري الجمهوري يسعى البعض إلى استعادة الملكية، ولو بالاسم - في صورة فتاة تطرح جسدها أمام الرأي العام، مع أخريات، ليقوم الباحثون عن الملكية بتطبيق مقاييس الجمال الأنثوي، واختيارها ملكة (!!) لمصر!

استطاع هذا البعض أن يشغل الناس عبر الصحف والتلفزة بالملكة المنتخبة(!!)، ويقدمها في عناوين كبرى، وصور تملأ الأغلفة والصفحات، وبث مباشر أو مسجل عبر قنوات أرضية وفضائية محلية وعربية، وقد خصصت قناة فضائية طائفية لبنانية أكثر من ساعتين لتقديم بناتنا المتسابقات وهن شبه عرايا، في أوضاع مختلفة، حتى تم تتويج الفتاة/الملكة، مع التعريف بها من حيث الطول، والبرج الذي تنتمي إليه، وهواياتها، ولون شعرها وعينيها، وكونها تعد نفسها سفيرة

لمصر في الخارج وسفيرة للسلام! فضلاً عن طبيعة (المكياج) الذي تستخدمه، والكريم الذي تفضله، والألوان التي تحبذها، والتاج الذي صمم لها.... ولم تقصر الصحافة والتلفزة في تقديم أو ذكر الملكات السابقات للجمال في مصر منذ عام ١٩٨٧م حتى الآن، وكأنه مجد تليد ينبغي الاحتفاء به وتخليده.

ويحاول بعضهم أن يغطي على الجريمة التي تسمى مسابقة ملكة جمال مصر، بالقول: إن المسابقة ثقافية، تقوم على اختيار أفضل المتسابقات في المعلومات العامة والثقافة والذكاء، ويدللون على عمق الفكر الثقافي في الأسئلة الموجهة إلى الفتيات بسؤال عن "الخلع" في الشريعة الإسلامية، ويشيرون إلى طرافة بعض الإجابات مثل قول إحداهن: إن من حق المرأة الخلع إذا "زهقت" من زوجها مثل الرجل تمامًا عندما "يزهق" من زوجته فيتزوج عليها!!

ولا ريب أن المتسابقات لا ينتمين إلى القاعدة الشعبية العريضة من المصريين التي تعيش تحت خط الفقر أو فوقه بقليل، ومن المؤكد أنه لا تشغلهن لقمة العيش، ولا صعوبة المواصلات، ولا زحام المساكن، ولا سكان القبور الأحياء، ولا الدروس الخصوصية، ولا البطالة، ولا الوقوف في طوابير الخبز أمام الأفران البلدي، ولا انتظار مواسم التخفيضات (الأوكازيون) لشراء بعض الملابس أو الأحذية ذات الأسعار المخفضة.

ولاريب أن المتسابقات لا تشغلهن قضايا الأمة على المستوى الوطني

أو القـومي أو الإسلامـي، فلا يعنيهن مثلاً حاجة مصـر إلى القمح واستجدائه من دول الغـرب الصليبي، ولا يعلمن شيئًا عن ديون مصر لهذه الدول، ولا يعـرفن مـا يتـرتب على هـذه الديـون من ذل وهـوان وفقدان للاستقلال السياسي والحضاري.

ولاريب أن هؤلاء الفتيات لا يعلمن شيئًا عن الإسلام ولا تعاليمه ولا أخلاقه، فمن منهن تعلم أن جسـد المرأة المسلمـة تبغي صيانته عن الابتذال والعري وتعرض الآخرين لـه؟ ومن منهن تعلم أن حرية المسلمة تكمن في سلوكها وفكرها وإنسانيتها وثقافتها، لا في شعرها وعينيها وخصرها وساقيها ولون بشرتها؟ ومن منهن تعلم أن ربط قيمة المرأة بجسدهـا وسنها مخـالف لمبادئ الإسلام وقيمه؟ ومـن منهـن تعلم أن جمال المرأة في الإسلام يكمن في الروح والعاطفة وخدمة المجتمع؟

سـاءلت نفسي: من يكـون الآبـاء والأمهـات لهـؤلاء الفتيـات؟ هل أخذتهم الغيـرة عليهن وهـن بين أيدي السادة تجـار الأجساد يقلبونهن ويقيسون خصورهن وصدورهن ونحورهن وسيقانهن؟ يقال: إن الخنزير وحده هو الـذي لا يغار على أنثاه سـواء كانت زوجته أو قـريبته.. فكيف انخدع الآباء والأمهات لتقديم بناتهن على مذبح العرض الجسدي؟

لقد تحولت المرأة في الغـرب الصليبي إلى سلعة أو جارية تباع وتشترى مع الفارق الزمنـي بينها وبين جارية الزمن الماضي، ومع الفارق الـزمنـي أيضًا بين النخـاس القـديم والنخـاس الصليبي المعـاصـر ومن يقلدونه من غير الصليبيين صارت المرأة هنـاك مجرد جسد يعرض

الثياب: الفساتين وقمصان النوم والمايوهات وقطع الذهب والماس والفضة التي تتحلى بها النساء في الأذنين والرقبة واليدين والقدمين، وصارت المرأة مجرد جسد لقضاء المتعة على شاشات السينما والتلفزة وصفحات الجرائد والمجلات، صارت المرأة مجرد "سنارة صيد" في السكرتارية والشركات والمؤسسات.. لقد صارت المرأة إلا قليلاً مجرد جارية تخدم مافيا السياسة والاقتصاد والتجارة والمخابرات في الغرب الصليبي، ويريدونها هنا أن تلحق بأختها الصليبية لتكون مستتيرين تقدميين ثوريين.. أما أن تكون ملكة جمال حقيقية في وطنها وأمتها وشعبها، فهذا ما لا يريدونه. لا يريدون أن تكون ملكة جمال فلسطين أو مصر من عينة وفاء إدريس أو آيات الأخرس، أو إيمان حجو ذات السنوات الأربع! يريدونها مجرد جثة تنطبق عليها مقاييس المترات والسنتيمترات وألوان البشرة وأحجام الأنف والأذنين والقدمين.. جثة بلا روح ولا عاطفة ولا وجدان..

لا أستطيع أن أفصل بين مسابقة ملكة جمال مصر، والمهرجانات أو المهارج التي تقام في بعض الدول العربية وخاصة المجاورة لفلسطين، مثل مهرجان صانع النجوم وسوق عكاظ ومهرجان المحبة، ففي الوقت الذي يتم فيه استئصال الشعب الفلسطيني الأسير، وضربه بالطائرات والدبابات والمدافع والصواريخ، وقتل أبنائه ومجاهديه، وأسر نشطائه، وتدمير بيوتهم، وفرض الحصار، وحظر التجول على القرى والمدن الفلسطينية، ينشغل البعض منا بالرقص والطبل والزمر واختيار ملكات

الجمال، وكأن كل شيء هادئ على الجبهة، وكأننا نعيش السلام والرخاء الأبديين! وكأن الصليبيين الاستعماريين لا يريدوننا أن ندخل إلى ساحة التبعية والتغريب!

أخشى أن يقول عنا أحرار العالم: إننا فقدنا الإحساس والشعور، بعد أن فقدنا الغيرة والنخوة، وفي كل الأحوال، فنحن مدينون بالاعتذار إلى ملكة جمال فلسطين الاستشهادية التي تفجر نفسها فيمن أذلنا وقهرنا وجعلنا معرة الأمم... أما أنتم يا ملكات مارينا، فالويل لكم من الله، ثم من الشعوب!



الموت الجميل!

كل يوم تكشف الأحداث عن عمق الهوة التي تفصل من ناحية بين إرادة الشعوب العربية عامة، والشعب الفلسطيني خاصة، والحكام والقادة من ناحية أخرى... والسبب يرجع ببساطة إلى أن هؤلاء القادة وأولئك الحكام يستجيبون لإرادة الدائرة المحدودة الضيقة التي تحيط بهم، وتعمل على إبعادهم عن شعوبهم، من أجل مصالح خاصة وشخصية لأفرادها، وبالطبع فإن هذه المصالح غير مشروعة وغير قانونية، وهي تصب غالبًا في دائرة الفساد والإفساد... لذا فإن المصلحة العليا للأمة والأوطان لا محل لها، حتى لو هتفت بها أجهزة الدعاية ليل نهار؛ لأن واقع الحال ينبئ عن السؤال والمقال... ثم إن أفراد الدائرة المحدودة يتفننون أحيانًا في تأليه الحاكم أو القائد وإضفاء صفات الألوهية عليه، مما يجعل أي حديث معه - ولا أقول نقدًا - تجاوزًا للحدود، وخروجًا على اللياقة يقتضي تأديبًا وتهذيبًا بالطرق التي يعلمها الجميع، مع أن النازيين اليهود في الكنيست يهاجمون رئيس الوزراء، ويوجهون إليه أقذع الألفاظ دون أن يتغير شيء بالنسبة للطرفين، وبعدها فإن التصويت يحسم القضايا المطروحة!

أقول هذا بمناسبة فجيعة الشعب الفلسطيني والشعوب العربية فيما يسمى الحل السلمي للقضية الفلسطينية، وعدم حصول الفلسطينيين على حريتهم وحقوقهم وكرامتهم. إن القيادات

الفلسطينية والعربية تصر بعد أكثر من نصف قرن على مواصلة الطريق الذي لا يؤدي إلى خير، ولا يهدي إلى صواب، في الوقت الذي ترفض فيه الاستجابة لشعوبها والدخول إلى طريق الجهاد والعمل الحقيقي الذي يعد أكثر جدوى وأكبر فاعلية من كل المحاولات الأخرى.

إن دول العالم الصليبي الاستعماري زرعت الكيان النازي اليهودي في قلب العالم الإسلامي ليكون شوكة حادة ومزمنة وقاتلة، وشجعت قيام أنظمة عربية مستبدة توجه قوتها ضد شعوبها قبل أن توجهها إلى هذا الكيان العدواني اليهودي، وكم من انقلابات ومؤامرات ودماء ومحاكمات.. شهدها العالم العربي منذ قيام الدولة النازية الصهيونية على الأرض الفلسطينية، ولم يعتبر الجيل الحالي بما جرى في الجيل الخالي، وما زال العرب والفلسطينيون يدورون في الحلقة المفرغة: الناس في وادٍ، والحكام في وادٍ آخر.. والعلاقة تقوم على ودٍّ مفقود بين الطرفين، والكذب رائد الساحة تحتكره الدائرة الضيقة المحدودة التي توجه الحكام وتعمل لمصلحتها الشخصية ومنفعتها الذاتية، وترى أن إبقاء الحال على ما هي عليه ضرورة استراتيجية لاستمرارها ووجودها.

لم يكن تطاول العدو نتيجة قوته، ولكن نتيجة ضعفنا ووهننا بالفرقة والتشرذم والأنانية، والقسوة على بعضنا، وهو ما لم يعد قاصرًا على الحكومات العربية وحدها، ولكنه انتقل إلى السلطة الفلسطينية التي آثرت ألا تقصر في السباق، وأن تبرز في حلبته، وأن تثبت أنها أشد قسوة على شعبها من الحكومات العربية جميعًا، مع أن

كل ما حولها يؤكد أن العدو غادر وكذاب وخادع وقاتل... كان من المنتظر بعد أحداث نصف قرن أو أكثر، بل بعد أحداث عام وتسعة أشهر من بدء الانتفاضة أن تفهم السلطة أن العدو لا يفهم إلا لغة واحدة، وأن الشعب الفلسطيني قد اعتمد هذه اللغة وتوحد من حولها، وهي لغة الشهادة أو الموت الجميل، إنها اللغة التي تجعل العدو يفر ويهرب مدحورًا مذعورًا، كما حدث في جنوب لبنان، حين اندحر مهزومًا أمام المقاومة الإسلامية الاستشهادية الباسلة دون مفاوضات أو حوارات، ودون وساطة من تينيت أو بيرنز، ودون رجاء أو توسل.. ثم وهو الأهم دون معاهدات أو اتفاقات.. الموت الجميل أرغم النازيين الطغاة الغزاة على الرحيل عن الأرض المحتلة في الجنوب اللبناني تاركًا أعوانه وخدامه وعملاءه من خونة المارون في العراء يواجهون المحاكمات والاحتقار والازدراء من الشعب اللبناني والشعوب العربية والأحرار في العالم!

الموت الجميل، جعل الشعب الفلسطيني أيضًا، يرغم النازيين الغزاة وأسيادهم الصليبيين في الغرب، على العمل المحموم من أجل وقفه ومنعه، حيث جعلوا من رئيس السلطة الذي فرط في كل شيء، رجلهم ووسيلتهم إلى قمع الشعب الفلسطيني ومطاردته؛ كي يحميهم من الموت الجميل، فأخذ يشجب ويدين، ويستجيب لتينيت وبيرنز وسولانا، والمتوسلين العرب، لينظم قوات القمع الفلسطيني في جهاز واحد، ويطرد من تحوم حوله شبهة الرغبة في المقاومة أو الموت الجميل، وتأسيس نظام خفارة رخيص الثمن، يقوم في المستقبل نيابة عن

الدبابات والمدرعات والمجنزرات اليهودية النازية بمهمة استئصال الاستشهاديين والباحثين عن الموت الجميل، كي يعيش الغزاة في مأمن، ويواصلوا حياة الغطرسة والعجرفة والصفاقة في سهولة ويسر، ويبقى الشعب الفلسطيني أسيرًا ذليلاً مسكينًا! يتعرض يوميًا للموت المجاني بالقذائف اليهودية والرصاص اليهودي والصواريخ الصهيونية والقنابل الصهيونية!

الموت الجميل هو الطريق الوحيد والأوحد الذي يعيد الحقوق كاملة إلى الشعب الفلسطيني المظلوم، بعد أن سدت كل الطرق في وجهه، قيادته تخلت عنه واهتمت بخلاصها الشخصي، والحكومات العربية مشغولة بقهر شعوبها وسن القوانين التي تجعلها مقيدة أسيرة، والمجتمع الدولي(!) - يقصدون الأمم المتحدة والعالم الصليبي الاستعماري - يشجع النازيين اليهود والغزاة بالصمت والتواطؤ والدعم والتسليح على القضاء على الشعب الفلسطيني والهيمنة على الشعوب العربية وإذلالها، وتغيير إسلامها واتهامها دائمًا بالإرهاب والتخلف ومعاداة السامية، مع أنها وحدها الشعوب السامية الحقيقية الباقية على ظهر الأرض!

لا أستطيع أن أقول للسلطة الفلسطينية اتركي "رام الله" وعودي لشعبك، وتعلمي منه الموت الجميل حتى يتم تحرير الوطن واستعادة القدس وطرد النازيين اليهود الغزاة، فمازال الخيار - مع أنهم يضربونه ويهينونه كل يوم - يصر على أن يكون فخامة الرئيس!! ويا لها من فخامة!

تيمور الصليبية... وفلسطين الإسلامية

في مايو ٢٠٠٢م، احتفل العالم الصليبي الاستعماري بإقامة دولة صليبية جديدة (٧٥٠ ألف نسمة) اسمها "تيمور الشرقية"، على أطلال إحدى جزر الأرخبيل الإندونيسي التي كانت تحتلها البرتغال الكاثوليكية، وحررتها إندونيسيا عام ١٩٧٥م. حضر الاحتفال فخامة الرئيس الصليبي السابق **"بيل كلينتون"** وسعادة الأمين العام للأمم المتحدة التي تعد فرعًا من وزارة الخارجية الأمريكية!، **وجون هاورد** - رئيس وزراء أستراليا الصليبي المتعصب، **وجورج سامبايو** - رئيس وزراء البرتغال - دولة الاحتلال السابقة - والرئيسة الإندونيسية **ميجاواتي سوكارنو بوتري**، وممثلون عن دول العالم الاستعماري الصليبي إلى جانب الأسقف **كارلوس شيمنس** - أسقف ديلي عاصمة تيمور الشرقية والحائز على جائزة نوبل للسلام (!) عام ١٩٩٦م.

بالإضافة إلى ما يقرب من ربع مليون شخص من السكان، رقصوا أو غنوا وشربوا احتفالاً باستقلال الجزيرة التي فقدت ما يقرب من ألفي مدني في الصراع بين المسلمين والصليبين.

قال شاب صغير، يدعى ألفونسو ماركيز (١٦ سنة): "الآن أصبحنا فعلاً أحرارًا، للمرة الأولى. لم نكن نحلم من قبل بتحقق شيء من هذا

القبيل". وقال أسقف ديلي: لنصل من أجل أن يتمكن رؤساؤنا من إدارة الاستقلال بمسؤولية حتى نتمكن من العيش بسلام موحدين".

العالم الصليبي الذي قام بتنصير معظم سكان الجزيرة المسلمة، وأمدهم بالمال والسلاح، وتبنى دعوتهم للانفصال عن الوطن الأم "إندونيسيا" على المستوى الإعلامي والدبلوماسي والسياسي، هو نفسه الذي يقف ضد شعب فلسطين المسلمة، ويساند المستوطنين اليهود الغرباء الذين جاؤوا من كل أنحاء العالم ليسموها "أرض إسرائيل" أو أرض الميعاد، وليشجعهم على الزحف إلى ما حولها من أراضٍ تبدأ من النيل وتنتهي عند الفرات، ودعمهم بالسلاح التقليدي والنووي، ووقف إلى جانبهم في المحافل الدولية والمؤتمرات السياسية، وشجعهم على عدم تنفيذ أي قرار من قرارات الأمم المتحدة، ومجلس الأمن الدولي، بل إنه تمادى إلى أبعد من ذلك حين وصف السفاحين اليهود بأنهم رجال سلام، ومنح بعضهم جائزة نوبل، وأيديهم تقطر دمًا فلسطينيًا بريئًا!

تيمور الصليبية انتزعت انتزاعًا من قلب الدولة الإسلامية الأم، وأرغمت رئيستها المسلمة على حضور حفل الانفصال أو الاستقلال كما يسمونه، بعد انتخابات تقرير المصير، ولكن فلسطين الإسلامية غير مسموح لشعبها أن ينال حقه في الحرية والاستقلال وطرد المستعمرين اليهود الغزاة من أرضه، بل إن بعضهم لا يخافت بالرغبة في تأييد ما

يسميه الغزاة "بالترانسفير" - أي تهجير الفلسطينيين من فلسطين إلى دول عربية أخرى، وتوطينهم فيها مثل العراق ولبنان والأردن وسوريا ومصر، وهناك مساعدة واضحة على تهجيرهم إلى كندا من خلال تسهيل منح التأشيرات والمعونات والجنسية لتصفية فلسطين من شعبها المسلم، وتبقى خالصة للعنصر اليهودي الغازي النازي الذي لا يقبل شريكًا له في الأرض التي احتلها، وسماها أرض إسرائيل أو أرض الميعاد!

العالم الصليبي الاستعماري يتحرك بما تمليه عليه معتقداته ومصالحه، ولا يعبأ بقانون دولي أو أخلاق إنسانية أو قيم دينية.. فقد تخلى منذ زمان بعيد عن هذه القيم وتلك الأخلاق وذاك القانون.. إن التعصب الذي يحكم مسيرة العالم الصليبي الاستعماري يجعله لا يصغى إلى أي صوت من أصوات التصالح أو التفاهم؛ لأنه لا يقنع بغير الاستسلام التام والمطلق من جانب ضحاياه، وهم نحن المسلمين التعساء البائسين المتفرقين المتشرذمين، وليس أدل على ذلك من أنه في الوقت الذي يشيد فيه بعصابات تيمور المسلحة التي قتلت مئات المسلمين وأحرقت مدنهم وقراهم ومساجدهم، ويتوج **"شينانا جسماو"** - زعيم هذه العصابات - بطلاً تاريخيًا وزعيمًا صليبيًا ورئيسًا بارزًا للدولة الصليبية الجديدة، فإنه يصف منظمات المقاومة الفلسطينية ومن يساعدها بالإرهاب، ويضع الدول التي لا تخضع لإرادته وإرادة

العدو النازي اليهودي على قوائم الإرهاب، ويفرض عليها المقاطعة الاقتصادية والحصار السياسي، بل إن خادمهم الأمين "**كوفي أنان**" - أمين عام الأمم المتحدة آنذاك - يتحدث عن نضال الشعب التيموري ونجاحه في تحقيق الاستقلال، وفي الوقت ذاته يدين المقاومة الفلسطينية ويستنكر العمليات الاستشهادية ويكفي على خبر جريمة جنين ألف ماجور!

ما جرى في تيمور الصليبية، تعمل الدول الصليبية الاستعمارية على تكراره في جنوب السودان، لتسلخ ثلث مساحته وتقيم عليه دولة عازلة بقيادة الخائن "**جون جارانج**"، وتحذر الرئيس السوداني من مواجهته أو مقاومة الانفصاليين، وتنذره بأنه لن ينتصر عليهم أبدًا!! وها هم يحرضون الهند ضد باكستان لتمحوها من الوجود وتلغي حق شعب كشمير في الحياة.

ومع ذلك، فهناك - في بلادنا - من يثق بالعالم الصليبي الاستعماري، وفي وعوده الكاذبة، ويظن أنه سيعيد اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم، ويقيم دولة فلسطينية، ويحقق السلام المستحيل، وينشر ثقافة السلام في نفوس اليهود النازيين الغزاة! هل الخلل فينا أم في العالم الصليبي الاستعماري الذي يكره المسلمين ويحتقرهم ويحاصرهم ويذبح الكثيرين منهم في أكثر من مكان؟

الاستشهادية ضد النازية!

عندما شاهدت المناضل البهائي (أبو مازن) على شاشة الفضائية اللبنانية مهزومًا مدحورًا، يدين المقاومة والعمليات الاستشهادية، ويؤكد أن الفارق العسكري كبير بين الفلسطينيين والنازية اليهودية، أدركت حجم الهزيمة الداخلية التي تسكن ما يسمى السلطة الفلسطينية، فضلاً عن القيادة الصليبية في الولايات المتحدة، ومن ثم كان التركيز على منع هذه العمليات وتجريمها حتى يستمر النازيون اليهود في احتلالهم لفلسطين، مع القيام بدورهم الإجرامي والإرهابي في إضلال العرب والمسلمين وإخضاعهم للإرادة النازية اليهودية ومشيئتها.

اختزل الجميع مشكلة الشعب الفلسطيني ومأساته الدامية في العمليات الاستشهادية التي سمَّوها بالإرهابية، وتناسوا أن فلسطين محتلة من قِبَل قوة إرهابية دموية تملك أحدث جيوش العالم تسليحًا وتنظيمًا، وتتصرف بوحشية غير مسبوقة يتواضع إلى جانبها ما فعله النازي الألماني أو ينسب إليه. وتناسوا أن الجيش الصهيوني يضرب يوميًا الفلسطينيين الآمنين، ويهدم بيوتهم، ويقصف المدن والقرى الفلسطينية بالدبابات وطائرات الأباتشي والإف ١٦، وكل يوم يشيع الفلسطينيون قتلاهم من الأطفال والنساء والرجال دون أن يهتز جفن في العالم الصليبي وحكوماته وقيادته.. ولكن دفاع الشعب الفلسطيني

عن نفسه يسمى إرهابًا ووحشية واعتداءً على المدنيين. لقد قلبوا الحق باطلاً، وجعلوا الباطل حقًا، وظاهرهم على ذلك بعض المرتزقة من المثقفين العرب وبعض المهزومين من الحكومات العربية والسلطة.

حين وجدت القيادة الصليبية في واشنطن أن القتل اليومي للفلسطينيين، على يد العصابات النازية اليهودية، والضغوط السياسية والاقتصادية والحصار وحظر التجول وحرب التجويع لن توقف العمليات الاستشهادية دفاعًا عن الشعب الفلسطيني الأسير، اتجهوا أخيرًا إلى ما يسمى منظمات حقوق الإنسان العالمية التي يحركونها لتحقيق مآربهم السياسية والدولية، ونجحوا في تحريك منظمة (هيومان رايت ووتش) لتصدر بيانًا يدين العمليات الاستشهادية الفلسطينية ضد اليهود الغزاة، ويصفها بأنها جرائم حرب ضد المدنيين، ويجب ملاحقة القائمين بها والمشاركين فيها والمحرضين عليها، ونحن لا نعلم الثمن الذي تقاضته هذه المنظمة التي ينبغي أن تدافع عن حقوق الإنسان فعلاً وحقًا وصدقًا، كما لا ندري طبيعة هذا الثمن الذي بذلته الصهيونية وأنصارها الصليبيون الاستعماريون، ولكننا نسأل: إذا كان الذي يدافع عن وجوده وأرضه وعرضه بتفجير نفسه في الغزاة المجرمين الظالمين يسمى مجرم حرب، تجب إدانته ومحاكمته، فما هي المعايير التي يجب أن نحكم بها على من يتسلل إلى أرض غيره، ويحتلها بالقوة المسلحة ويهجر أهلها عنوة، ويستجلب أناسًا

من بلاد أخرى ليحلوا مكانهم، ويستخدم أقسى أنواع العنف مع من تبقى من السكان الأصليين بدءًا من الحصار حتى التجويع؟

إن منظمة حقوق الإنسان (هيومان رايت ووتش) أثبتت أنها لا تعرف الحقوق ولا تفقه معنى الإنسانية، وتحولت إلى منظمة تعمل على خدمة الصهيونية النازية والصليبية الاستعمارية، بدليل أنها صمتت وسكتت طويلاً، ووضعت على عينيها عصابة سوداء؛ حتى لا ترى المجازر والمذابح التي اقترفتها أيدي الصهاينة في جنين وطولكرم ونابلس والخليل وغزة ورفح وخان يونس وغيرها من المدن الفلسطينية الأسيرة. والسؤال هو: من الذي تنبغي محاكمته؟ آرئيل شارون وفؤاد بن أليعازر وشاؤول موفاز وشيمون بيريز وأفيجدور ليبرمان وبوجب بن يعلون ونتنياهو وإيهود باراك.. إلى آخر سلسلة السفاحين الذي قتلوا في الانتفاضة قرابة ثمان مئة وألف شهيد، وجرحوا أكثر من خمسين ألفًا، فضلاً عن عشرة آلاف معوق، ومئات البيوت التي هدمت والمصانع التي خربت، والمزارع التي جرفت، والزيتون الذي سُرِق، والأحياء التي دُمرت، وعشرة آلاف معتقل يصرخون من التعذيب الوحشي الذي لا يعرف شيئًا اسمه الرحمة؟ من الذي تجب محاكمته وفضحه أمام الملأ؟

إن منظمة حقوق الإنسان نسيت الحقوق التي تعمل من أجلها، والمنظمة التي تعمل في ظلها، أعني منظمة الأمم المتحدة، وقرارتها وقوانينها التي تجعل مقاومة الغزاة والمستعمرين حقًا إنسانيًا مقدسًا لا تفريط فيه. كنا نود من هذه المنظمة التي أزعجتها العمليات

الاستشهادية، وأسالت دموعها، أن ترجع إلى القوانين التي تحكم عمل المنظمات الدولية واتفاقية جنيف؛ لترى على ضوئها ممارسات العصابات النازية اليهودية ضد الشعب الفلسطيني الأسير. كنا نود أن نسمع رأي منظمة حقوق الإنسان في استمرار تشريد خمسة ملايين لاجئ فلسطيني دون هوية أو جواز سفر أو بيت دائم، في الوقت الذي تجلب فيه النازية اليهودية شهريًا ألوف اليهود من شتى بقاع الأرض؛ بحجة أن فلسطين هي "أرض الميعاد التي وعدهم بها الرب".. في أي شريعة وأي قانون يأتي قوم غزاة ليحتلوا أرضًا ليست لهم؛ بحجة أن أجدادهم المزعومين كانوا فيها قبل أربعة آلاف سنة؟ يبدو أن الثمن الذي تقاضته "هيومان رايت ووتش" كان كبيرًا، بدليل أن بيانها الإجرامي خلا من مجرد الإشارة إلى أن هناك شيئًا اسمه الاحتلال الصهيوني للضفة والقطاع، على الأقل!

لا ريب أن استمرار العمليات الاستشهادية داخل الخط الأخضر وخارجه ضرورة إنسانية لتنبيه هذه المنظمة القائمة على حقوق الإنسان (!!) وأمثالها من المنظمات الأخرى، وكذلك السلطة (التي كانت!) والسادة المهزومين في عالمنا العربي الإسلامي، إلى أن الحقوق لا تعود بمنظمات حقوق الإنسان ولا الأمم المتحدة ولا الراعي الأمين.. أعني الولايات المتحدة - زعيمة الصليبية الاستعمارية في الوقت الراهن!



صهيل الخيول.. وحزب واشنطن

أصاب مقال **"فهمي هويدي"** الذي نشره **"الأهرام"** تحت عنوان **"خيولنا التي لا تصهل"**، وترًا حساسًا لدى الأمة العربية والإسلامية؛ لأنه عبر عن رغبة دفينة وعميقة لدى الإنسان العربي والمسلم في العمل والحركة والإبداع والجهاد. كانت تعليقات الكتاب الموالين لأمتهم متعاطفة مع المقال والكاتب، وتحركت أقلام مفكرين مرموقين لمعالجة أسباب المحنة الراهنة التي تعيشها الأمة والدعوة إلى حوار عاقل وإيجابي وشامل... ولكن الأمر لم يعجب "حزب واشنطن" في بلادنا! لا أغالي حين أصف هذا النفر من المثقفين الذين يكرهون الإسلام، ويدافعون عن الغرب عامة والولايات المتحدة خاصة بحزب واشنطن، فهم متيمون بوجهة النظر الأمريكية مقتنعون بما يقوله السادة الذين يعيشون وراء الأطلنطي أو في شماله، مؤمنون بأن الاستسلام للقوة الغربية الجبارة بقيادة الولايات المتحدة هو المنقذ من عذاب الاحتلال اليهودي النازي، وآلام العجز الاقتصادي والسياسي!

حزب واشنطن يسخر من فكرة "صهيل الخيول العربية والإسلامية"، التي تعني الجهاد والمقاومة والعمل الإيجابي ضد الأعداء والمستعمرين، الصليبيين واليهود، ويضرب على ذلك مثلاً بالانتفاضة الفلسطينية المباركة، ويرى أن الفلسطينيين بعد انتفاضتهم الثانية في ٢٨ من

سبتمبر ٢٠٠٠م، صاروا محاصرين بالجوع والتمزيق والقتل والاغتيال، والجيش النازي اليهودي الذي يغدو ويروح في المنطقة "أ" التي تديرها سلطة الحكم الذاتي الإداري المحدود منذ أوسلو! وكأنه يقول: استسلموا توهب لكم الحياة! ولا يعني هذا الحزب أن تكون حياة ذليلة مهينة أو حياة العبيد. المهم لدى فلاسفة الحزب القبول بما يمليه الغزاة الجبابرة، وإلا فالشماتة تطل من بين سطور كتابات الحزب وجهابذته.. وخاصة بعد العدوان الصليبي الاستعماري على أفغانستان، وتحريض الهند على باكستان تمهيدًا لتدمير مفاعلاتها النووية وتمزيقها إلى دويلات، والسير بعدئذ في استكمال الجريمة الصليبية ضد إيران والعراق وسوريا والمقاومة اللبنانية والفلسطينية، والصومال والسودان وغيرها!

حزب واشنطن في بلادنا العربية يرى ضرورة الاستسلام الكامل للإرادة الصليبية اليهودية، ويسخر من دعوة الكتاب الوطنيين والإسلاميين للشعوب العربية الإسلامية كي تعبر عن إرادتها وإعلان موقفها بالمظاهرات وغيرها، ويتهكم على المظاهرات الإيرانية المليونية التي كانت تجوب شوارع طهران وغيرها ضد الشيطان الأكبر والشيطان الأصغر وجرائمهما ضد الشعب الفلسطيني والشعوب الإسلامية.. ويتساءل: ماذا فعلت هذه المظاهرات المليونية؟!

حزب واشنطن يؤمن بأن صهول الخيول العربية والإسلامية، مسألة عاطفية لا تليق بالعصر الاستعماري الصليبي الجديد الذي يكتسح أمامه كل من يقاومه أو يجاهد ضد بلطجته وعدوانه، أما العقل

والمنهجية العلمية في رأي الحزب الأمريكي المحلي، فهي القبول بالأمر الواقع، والانبطاح إلى أقصى درجات الانبطاح وأشكاله..

ومشكلة هذا الحزب وأنصاره أنهم يتحركون في دائرة مصالحهم الضيقة أولاً، وأنهم يغفلون حقائق التاريخ والمستقبل ثانيًا، وأنهم يتجاهلون عناصر القوة لدى الأمة ثالثًا. فهم يعلمون أن ركوب القطار الصليبي الاستعماري يحقق لركابه فوائد جمة، ولكنهم يتناسون أن سائق القطار قد يلقي ببعض ركابه من النوافذ والأبواب حين تنتهي مهمتهم (تأمل تجربة باكستان في مساعدة أمريكا وعدوانها على أفغانستان) وما ينطبق على الدول ينطبق على الأفراد، ويتناسى حزب واشنطن أن المستعمرين الطغاة لن يستقر بهم المقام في بلاد الغير، مهما بلغت قوتهم واشتد جبروتهم، فالشعوب دائمًا تقاوم وتنتصر بإذن الله، ثم إن الحزب الأمريكي المحلي يتناسى أن الأمة تملك عناصر قوة جبارة، وإذا كانت هذه الأمة محرومة من استخدامها بفعل القهر والاستسلام لطغيان الاستعمار الصليبي اليهودي، فإن الأمر لن يستمر هكذا إلى الأبد، ولكنه يتغير، وتأخذ الأمة زمام المبادرة في يوم ما.

إن الانتفاضة الفلسطينية أوجعت - ومازالت - الكيان النازي اليهودي، وحطمت جبروته الاستعماري، مع تفوقه الهائل وإجرامه غير المحدود، ويكفي أن نشير إلى حال "الشيكل" اليهودي، فقد جرى له ما جرى للجنيه المصري (يرحمه الله)، وصارت قيمته بالنسبة للدولار ٤,٧٠؛ مما يعني أن الانتفاضة تؤلم وتوجع، وصدق الله إذ يقول: ﴿إن

تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (النساء: ١٠٤). لقد جعلت الانتفاضة المباركة أغنياء الكيان اليهودي الغاصب يهاجرون منه إلى حيث الأمان والاستقرار، وهو ما عبر عن الإرهابي والوزير اليهودي السابق "رابينوفتش" في بعض مقالاته بالصحف العبرية... ويكفي أن الغزاة يفتقدون الاطمئنان والسكينة على الأرض التي اغتصبوها.

إن المظاهرات تعبير فعال عن إرادة الأمة، وصهيل الخيول أمر تلقائي لدى الأمم الحرة التي تأنف الذل والعار، وفي العالم العربي ومنه الولايات المتحدة تسير المظاهرات تعبيرًا عن رغبات ومطالب، وتؤثر على صانع القرار هناك؛ لأنها تنطلق من إرادة حقيقية لدى القائمين بها، والأمم الحرة تضحي وتحمل السلاح ضد الغزاة والقراصنة، ولو كان هؤلاء يملكون من القوة ما لا قبل لهم به، ولست في حاجة إلى ضرب الأمثلة من هنا وهناك، ولكني سأكتفي بما فعلته كوبا وما فعلته إيران وما فعلته فيتنام وما تفعله الشيشان.. إن الشعوب الحية لا تموت ولا تستسلم، وإن قال عنها حزب واشنطن: إنها شعوب عاطفية.. فالخيول ستصهل، وإن بدا أن فرسانها قد تركوها وحيدة، وستواجه أعداء البشرية المدججين بأقوى الأسلحة وإن ظن البعض أنها قد استكانت وخنعت، وستحقق الحرية لتعبد ربها، وتمارس شعائرها، وتشارك في صنع الحضارة الإنسانية، يقودها أحفاد خالد وعبد الرحمن وقطز وصلاح الدين وعبد العاطي... بإذن الله.

صدر للمؤلف

كتب صدرت عن دار النشر الدولي بالرياض:

- النقد الأدبي الحديث بداياته وتطوراته.
- تيسير علم المعاني.
- الأدب الإسلامي.. الفكرة والتطبيق.
- محمد (ﷺ) في الشعر الحديث (طبعة ثانية منقحة، ومزيدة ومجلدة وفاخرة).
- المدخل إلى البلاغة القرآنية.
- القصائد الإسلامية الطوال في العصر الحديث - دراسة ونصوص (طبعة رابعة).
- تطور النثر العربي.

إسلاميات:

١- مسلمون لا نخجل (٤ طبعات).
٢- الحرب الصليبية العاشرة.
٣- العودة إلى الينابيع.
٤- ثورة المساجد.. حجارة من سجيل.
٥- هتلر الشرق.
٦ - جاهلية صدام وزلزال الخليج.
٧- الصلح الأسود. والطريق إلى القدس.
٨- واسلمي يا مصر.
٩- حفنة سطور: شهادة إسلامية على قضايا الأمة.
١٠- أهل الفن وتجارة الغرائز (طبعتان).
١١- حراس العقيدة (٣ طبعات).
١٢- الأقصى في مواجهة أفيال أبرهة.
١٣- الإسلام في مواجهة الاستئصال.
١٤- تحرير الإسلام.
١٥- الصحافة المهاجرة.

١٦- النظام العسكري في الجزائر.
١٧- التنوير.. رؤية إسلامية.
١٨- ثقافة التبعية: المنهج، الخصائص، التطبيقات.
١٩- دفاعًا عن الإسلام والحرية.
٢٠- معركة الحجاب والصراع الحضاري.
٢١- العصا الغليظة.
٢٢- انتصار الدم على السيف.

أدب ونقد:

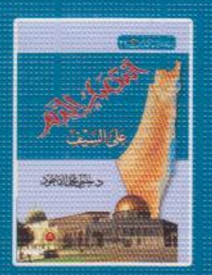
١- الغروب المستحيل (سيرة كاتب).
٢- رائحة الحبيب (مجموعة قصصية عن حرب رمضان).
٣- الحب يأتي مصادفة (رواية عن حرب رمضان).
٤- موسم البحث عن هوية (دراسات في الرواية والقصة).
٥- مدرسة البيان في النثر الحديث (طبعتان).
٦- محمد (ﷺ) في الشعر الحديث.
٧- القصائد الإسلامية الطوال في العصر الحديث (طبعتان).
٨- الرواية التاريخية في أدبنا الحديث (طبعتان).
٩- الحداثة العربية.. المصطلح والمفهوم.
١٠- الورد والهالوك: شعراء السبعينيات في مصر.
١١- لويس عوض: الأسطورة والحقيقة.
١٢- الواقعية الإسلامية في روايات نجيب الكيلاني (طبعتان).
١٣- الرواية الإسلامية المعاصرة.
١٤- النقد الأدبي الحديث: بداياته وتطوراته.
١٥- تيسير علم المعاني.
١٦- الوعي والغيبوبة: دراسات في الرواية المعاصرة.
١٧- حوار مع الرواية في مصر وسوريا.
١٨- إنسانية الأدب الإسلامي.
١٩- حصيرة الريف الواسعة.

كتب للأطفال:

- واحد من سبعة.

المحتويات

انتصار الدم على السيف



ليس مجرد وقفات مع أحداث عابرة للانتفاضة وما يتعلق بها على أرض فلسطين الأسيرة، ولكنه إسهام في تحرير وعي الأمة، وكشف للمسكوت عنه في الصراع الذي يخوضه بقيادة الشعب الفلسطيني ضد أبشع غزو همجي عرفته البشرية، وهو ما ينبغي أن نقدمه، ليس لهذا الجيل وحده، ولكن للأجيال القادمة أيضًا؛ حتى يُحسَمَ الصراع لصالح الإنسانية، فضلاً عن الشعب الأسير والأمة الإسلامية الجريحة!

وهو تحية متواضعة لشعبنا الأسير الصامد في فلسطين، ودعاء إلى الله أن يوفقه في مسيرته لتحرير أرضه، وعودة أبنائه المشردين، ونهوض القدس مرة أخرى، شامخة أبية، تحت راية خضراء.

الناشر



يطلب من مركز الاعلام العربي:
٢٠٠ ش الهرم - الجيزة - مصر ص.ب: ٩٢ الهرم - الجيزة - مصر
ت: ٣٧٨١١١٩٣ - ٣٧٨١١١٩٤ / ٠٠٢٠٢ - ف: ٠٠٢٠٢/٣٧٨١١١٩٥ - التوزيع: ٠٠٢٠٢/٣٧٤٤٥٤٥٥ - ٠٠٢/٠١٠٠٠٣٧٠٢٥
البريد الالكتروني: mediacenter55@hotmail.com
الموقع على شبكة الانترنت: www.amc-eg.com